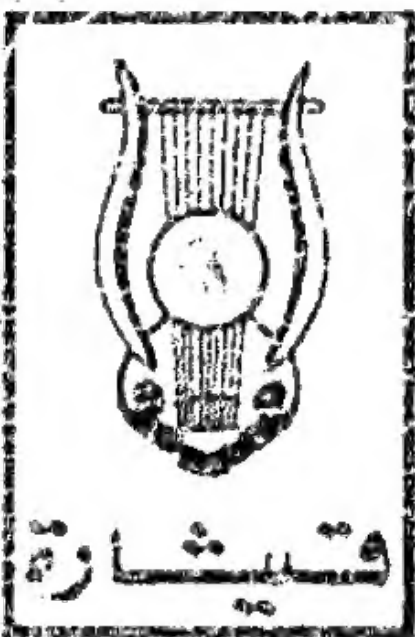


روايات الجيل الرومانسيّة



تأليف
مجدي صابر

فتيشارة



0112871



Bibliotheca Alexandrina

892

8

5



روايات الجيل الرومانسيّة ١٨

عيناك تدي

تأليف:
مجدى صابر

دار الجبل
بيروت

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِذَا رِجَالِ الْجِيلِ

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

تلك الساحرة

أخذ «كريم» طريقه بصعوبة بالغة وسط زحام الجالسين الذين أخذهم الحماس بالتصفيق للفتاة التي راحت ترقص في وسط دائرة ضيقة في المكان المكتظ ، وراحت تتلوى منشية في مهارة مع صوت المطرب الشاب المنبعث من جهاز الكاسيت وأنغام الموسيقى الصاخبة .

كان العروسان جالسين في ركن الحجرة وقد وقف بعض المدعوين بجوارهما لالتقاط الصور . فابتسم «كريم» رغماً عنه لمشهدهما . . . كان طول الاثنين غير متناسب على الإطلاق ، فالعريس قصير ذو رأس قاربت على الصلع بالرغم من أن عمره لم يتعد الواحد والثلاثين ، وبدت بذلته السوداء واسعة عليه بشكل مضحك . أما العروس فكانت طويلة طويلاً مبالغاً فيه لدرجة أن الفارق في الطول بينهما بدا واضحاً حتى في

جلوسهما . . وكان الفارق في السن بينهما أيضاً يصل الى خمسة عشر عاماً!

وعندما لمح العريس ابن عمه هتف: «كريم» . . ما الذي أنحرك كل هذا الوقت؟

فاحتضنه «كريم» بفرحة حقيقية . . كانت صداقتهما اقوى من رباط قرابته له كإبن عم . . ومنذ سنوات كانت بين الاثنين منافسة شريفة في امتحان الثانوية العامة ، فلما حصلوا على مجموع متقارب اختار «ماهر» دراسة طب الاسنان باعتبارها تضمن له دخلاً محترماً ، على حين اختار «كريم» دراسة الصحافة كمهنة تمنى عمره كله ان يحترفها .

وهمس «كريم» يقول لابن عمه كاتماً ضحكة: إن بذلتك تبدو واسعة جداً عليك . . هل اقترضتها من شخص بدين؟ فتلفت «ماهر» حوله قلقاً خشياً أن تكون عروسه قد سمعت ما قاله ابن عمه ، وهمس في غيظ قائلاً: هذه أرخص بدلة وجدتها . . أما مسألة المقاس فهي مشكلة فرعية لا تؤثر على جوهر الأمور .

كتم «كريم» ابتسامته . . فالجميع كانوا يعلمون عن «ماهر» انه بخيل وان أي زبون اذا ذهب لعيادته من اجل خلع ضرس

بمبلغ ثلاثة جنيهات أقنعه «ماهر» بضرورة خلع أسنانه كلها وتركيب
طاقم صناعي بخمسمائة جنيه!!

وهمس «ماهر» مواصلاً في غيظ: أنت تعرف أننا لا نحصل
على أجرنا إلا بخلع الضرس!!

قال «كريم» ضاحكاً: لقد صرت أشك في أي شخص في
«مصر» يقوم بتركيب أسنان صناعية، تكون أنت المسؤول عن
ذلك!

ثم مد يده مصافحاً العروس فجاءته بابتسامة كشفت عن صف
أسنانها الأمامي غير المتناسق، وكان من قام بتجميلها بارعاً حقاً إذ
تمكن من إخفاء تلك الهالات السوداء تحت عينيها بسبب إصابتها
المزمنة بالكلبي.. أما خصلات شعرها الساقطة فوق وجهها على
شكل «قصة»، فقد أخفت ذلك الحول الملحوظ في عينيها
اليسرى.. ولكن.. كان من المستحيل أن تتمكن أي مساحيق
تجميل في العالم من إخفاء ذلك الأنف الذي يقارب طوله شبراً
كاملاً.

وكان من الواضح أن الأغراء الوحيد الذي أقنع عائلتها الثرية،
بتزويج ابنتهم التي لا تعدو أن تكون طفلة كبيرة إلى «ماهر»، هو أنه
طبيب أسنان.. وهم قد اعتادوا على شراء كل شيء بنقودهم.

ومال «كريم» على ابن عمه هامساً في مداعبة: إن عروستك
«سميحة» رائعة وانت تستحقها حقاً!

ولكن الدعابة الساخرة لم يكن لها أي أثر على «ماهر» واجابه:
- لا يهمني رأيك وآراء الآخرين من أصحاب المبادئ التي لا
تطعم طفلاً صغيراً. . فيكفي ان والد عروستي يمتلك الملايين ،
والتي سارثها منه بعد وفاته بالطبع!

وأكمل في بعض الأسى متهدداً: ولكن المؤسف ان عمره
اربعون عاماً فقط ويتمتع بصحة ممتازة ، وربما انتظر وقتاً طويلاً قبل
ان ارثه وامتتع بماله .

هز «كريم» رأسه موافقاً وقال مشفقاً: وربما تموت انت قبله يا
عزيزي فيرثك هوا

حملق «ماهر» في «كريم» بعينين ذاهلتين اذ بدا انه يفكر في ذلك
الخاطر لأول مرة .

واختار «كريم» مقعداً مجاوراً واشعل سيجارة مراقباً تلك الفتاة
الجميلة التي نهضت لترقص . كانت جميلة حقاً ومشيرة ذات قوام
رائع وملفوف وكان فستانها غالياً دون شك . . وكذلك العقد
الماسي حول جيدها يساوي ثروة وحده .

وعندما بدأت الرقص تعالى تصفيق وهتاف الحاضرين في
نشوة . وكانت تجيد الرقص الى درجة كبيرة ، وعندما استدارت
لتطوح شعرها حول رأسها رمقت « كريم » بنظرة خاطفة
متفحصة . كانت لها عينان واسعتان جريئتان ، تراقص فيهما
رغبات وامنيات لا حصر لها وتبين فيهما جرأة غير عادية .

وصفق « كريم » لها بعد ان انتهت رقصتها فرمته بابتسامة
مشجعة . . ولكن عينيها الجريئتين لم تشجعه على أن يتبادل
معها حديثاً ما بالرغم من دعوتها الصريحة فلم تكن العيون
الجريئة تجذبه على الإطلاق .

وتنهت وشردت افكاره بعيداً . . كثيراً ما كان يدعى الى
اعراس اصدقائه واقاربه فيبارك للجميع ويتلقى العبارات المتمنية
بالسعادة . . والعثور على صاحبة النصيب ، وتظل عيناه تجوبان
صفحة وجوه كل المدعوات دون ان يعثر على بغيته . .

ظل يبحث عنها في كل مكان دون كلل . . وكثيرون
سألوه عنها . . عن شكلها . . قوامها . . صوتها . . وكان يهز
كتفيه في حيرة . . هو ايضاً لا يعرف كأنه يبحث عن شيء
مجهول ، وهو يقول لنفسه: إنني ابحث عن فتاة تخطف

بصري وقلبي عندما تقع عليها عيناى للمرة الاولى فلا أتركها
بعد ذلك للأبد ولا يفرقنا غير الموت . . ولا يهمني ان كانت
سمراء او بيضاء . . طويلة او قصيرة . . غنية ام فقيرة .
ولم تكن لهذه الفتاة مواصفات محددة في عقله . . غير ان
تخطف مشاعره منذ الوهلة الاولى .

اقتربت منه الفتاة التي كانت ترقص منذ قليل ، بدا واضحاً
انها لم تفقد الامل فيه بعد بالرغم من عدم تلبيته نظرات
عينيه . . ولمح « كريم » اصابعها خالية من اي خواتم خطوبة او
زواج . . ولم يشك في انها فعلت نفس الشيء معه . واخذت
مقعداً مجاوراً له وقالت باسمه تقدم نفسها إسمي «نشوى» . .
إبتسم « كريم » لحيلتها المكشوفة لتقديم نفسها واجابها: وانا
« كريم » .

فقلت بابتسامة اوسع: انا ابنة خالة العروس ، فهل انت
قريب للعريس؟

كان صوتها دافئاً به اغراء مريح فأجابها « كريم » وهو يبادلها
ابتسامتها: انا ابن عمه . .

كتمت ضحكتها وقالت: ولكن لا يبدو عليك ذلك .

ادرك «كريم» ما تقصده وقال: ان الاخوة لا يتشابهون في طباعهم واخلاقهم .

فتأملته لحظة وسألته: وما مهنتك؟

- انا صحفي .

- رائع .

هتفت بها في اعتجاب وان كان «كريم» قد شك في انها تعرف مهنته من قبل . . خاصة وصورته وتحقيقاته المثيرة تنشرها جريدته كل يوم . ومالت «نشوى» نحوه مكملة فتسلل الى انفه عطرها الثمين: لقد تمنيت ان اكون صحفية او مذيعة في التلفزيون . . ولكن قدرى ألقى بي في كلية الحقوق .
أجابها باسماء: لا يبدو ان مهنة المحاماة تناسبك .

مطت شفيتها في عدم رضا قائلة: إن والدي رجل اعمال شهير وقد اراد ان تكون ابنته محامية لتولى قضاياها بنفسها .
وأخرجت من حقيبتها بطاقة صغيرة مدتها الى «كريم» بأصابع منمقة قائلة:

- هذه بطاقة باسم ابي وعنوان مكتبه . . وانا اكون في مكتبه عادة من العاشرة صباحاً حتى الثالثة .

ومالت هامسة في صوت خاص: سيسعد والدي ان يراك
ويتعرف عليك . . .

ونهضت وهي ترمقه بنظرة طويلة مشجعة . . فأتاحت له ان
يتملى من عينيها . . كانتا جميلتين ثائرتين . . لا تواريان اي
مشاعر ولا تخجلان من جرأتهما .

ولكن « كريم » هز رأسه في بعض الحزن ، فلم تكن من النوع
الذي يعجبه بالرغم من جمالها و ثراء عائلتها . ودس البطاقة في
جيبه وهم بمغادرة ذلك الصخب عندما توقف بصره عند فتاة رآها
فجأة تتوسط المكان يتألق منها بهاء منقطع النظر ووجهها يشع
بضياء لا مثيل له . . كأنما انبعث منها عطر ساحر فواح اسكره
وادار رأسه . .

كانت ملائكية الشكل . . ملامحها دقيقة رقيقة كأنها برغم
سنواتها التي تخطت العشرين ليست غير طفلة نضجت توا ،
وكان قوامها متوسط الطول والامتلاء رائع التفاصيل
والقسمات . . وشفتاها الرقيقتان كأنهما ما خلقتا الا للتغريد . .
اما عيناها فكانتا ساحرتين تخطفان الالباب ، لونهما اخضر صافٍ
بلون الفيروز النقي ، كأنهما نجمتان تتألقان في ليل حالك
السواد . . فراقبها « كريم » بصره في انفعال محصياً كل خلجاتها .

ومالت تلك الفتاة الساحرة على العروس تبارك لها
وتقبلها . . فانتشر شعرها بلون الحناء فوق وجهها فبدا وكأنه
ستائر من شهد الجنة تحميها من عيون المتطفلين .

حبس «كريم» شهيقه عندما شاهدها . . أحس انه عثر على
بغيته التي طال بحثه عنها . . على الفور تعلق بصره بأصابعها في
نظرة متلهفة . . ولكن من مكانه لم يتح له ان يتمعن ويبحث
عن خاتم خطوبة او زواج . . ولكنه قدر أنها غير متزوجة . .
كان جمالها ملائكياً عذرياً يستحيل ان يكون قد اقتحمته يد
رجل اياً كان او عانقت انفاسه انفاس رجل ما .

تسمر «كريم» مكانه يراقبها حتى شاهدها تصافح «ماهر» ثم
تسير مبتعدة وتنضم الى بعض صديقاتها . . على الفور قفز من
مقعده صوب ابن عمه وسأله متلهفاً: أخبرني عن هذه الفتاة
التي صافحتك توا .

قال متسائلاً: هل تقصد «نيفين» ؟

ردد «كريم» اسمها همساً في شوق: «نيفين» . . يا له من
اسم ساحر .

حذق «ماهر» صوبه في دهشة بالغة مستكراً: هل
اعجبتك؟؟

اجابه «كريم» في لهفة: بل سحرتني . . انها الفتاة التي ظللت ابحث عنها سنوات طويلة وهأنذا قد عثرت عليها اخيراً في لحظة غير متوقعة على الاطلاق ، ولكنها اجمل لحظة في حياتي .

فقال «ماهر» في استنكار اشد: ولكنها فتاة فقيرة . . ان والدها موظف صغير جداً يعتمد على راتبه الضئيل .

تعلق بصر «كريم» بها . . تنبه انها ترتدي ملابس شائعة رخيصة ولكنها تتميز بالبساطة والجمال . . وكان عنقها خالياً من اي حلي ، وحتى اذناها . . ولكنه استدار نحو ابن عمه في اصرار قائلاً: لا يهمني فقرها او غناها ، انني اريد ان اعرف كل شيء عنها .

قال «ماهر» مرغماً: انها قريبة لـ «سميحة» من بعيد وقد حصلت على بكالوريوس التجارة هذا العام فقط .

هتف «كريم» في سرور: ان هذا معناه ان عمرها اثنان وعشرون عاماً والفارق بيننا تسع سنوات فقط . . هذا رائع .

ولكن «ماهر» هز رأسه كمن يستعد لالتقاء صدمة وقال لابن عمه: انني اعرف ولعلك بتلك الامور الرومانسية يا ابن عمي العزيز ، ولكن يؤسفني ان اخبرك عن شيء آخر اعرفه عن «نيفين» .

سأله «كريم»: ما هو؟

فأجابه «ماهر» في صوت شامت: انها مرتبطة بقريب لها .
صدمته العبارة . . أحس «كريم» كأن بر كانا انفجر في
وجهه . . ثرثر «ماهر» بعدها بكلمات كثيرة ولكن «كريم» لم
يع شيئاً مما قال . .

أحس انه سيختنق . . والقي نظرة اخيرة على تلك الساحرة
ولم يقو على إطالة النظر وقد شعر انه يتطفل على شيء لن يكون
له ابدأ مهما حاول ، كأنها صارت بعيدة عنه نائية الى آخر
العالم . . يستحيل عليه ان يمتلكها مهما سعى .

ونفض بأقدام متخاذلة . . توجه صوب الباب فصاح «ماهر»
به من الخلف: الى اين انت ذاهب . . سوف يأتي العشاء حالاً .

ولكنه غادر المكان وفي جوفه رغبة يافراغ كل ما فيه .
وصدمه الهواء البارد في الخارج واعاد اليه بعضاً من وعيه .
كان يريد ان يصرخ . . يصيح بأعلى صوته . . يشكو للناس
جميعاً من سخرية القدر . . ولكن كان الطريق ساكناً مظلماً لا
يعبره انسان . وكان عليه قطعه وحده وقلبه يتمزق الماء .

* * *

المفاجأة

وانقضت ايام شعر «كريم» انه لا يكاد يعي ما يقوله . . كأنه كان في حلم افاق منه على كابوس مؤلم .
وظل لأيام متتالية يخيل له انه يشاهد «نيفين» في كل مكان يذهب اليه . . ويلمح وجهها على وجه كل انسان يصادفه .
وصورة عينيها الفيروزيتين تسقطانه في دوامة لا قرار لها .
وغمغم لنفسه اخيراً في ألم: لم تعد هناك فائدة مما افعله بنفسي . . ولن يعيدها الحزن لي . . وسأعتبر كأنتي لم ارها واعجب بها .

وكان ما يطلبه من نفسه امراً قاسياً ، ولكنه حاول احتماله بالانغماس في عمله . ثم كان عليه الذهاب الى ابن عمه ليبارك له زواجه . وحصل «كريم» على العنوان في الحي الراقي .
كان المسكن فاخراً من عدة غرف في عمارة راقية . .

الاثاث يدل على ثراء من اشتراه . . وان كان يدل على وضاعة ذوقه وانحداره .

واستقبله «ماهر» محتضناً في قوة ، وربت على كتفه في سرور شديد قائلاً: كيف حالك؟

هز «كريم» كتفيه في لا مبالة مجيباً: كما ترى لا جديد . فقال «ماهر» في فخر وهو يتأمل المكان حوله: لا بد أنك تحسدني على هذا الاثاث الفاخر وتلك الشقة الرائعة . - كأنك سعيد .

- ولماذا لا اسعد وقد امتلكت مثل هذه الشقة الفاخرة؟

- انها ملك زوجتك وليست لك .

- وما الفارق بيني وبينها؟

- الفارق كبير . . يوماً ما ربما تشعر به .

دق «ماهر» على صدره في فخر قائلاً: دعك من هذه الاوهام ، انني رجل البيت وسيستحيل على اي انسان ان يغير هذه الصفة ابداً .

ومال على ابن عمه هامساً: ان زوجتي لا تستطيع مخالفة اي امر لي . . فهي مثل شمعة تحترق لإسعادي بكل الطرق . . ولا تنس انها ليست سوى طفلة بالنسبة لي يمكنني ان احركها كما اشاء

وما كاد يتم عبارته حتى أهلت «سميحة» في قميص طويل فاخر فبتر «ماهر» عبارته ونهض وقد ارتسمت فوق وجهه ابتسامة نفاق عريضة هاتفاً: أهلاً بأجمل العرائس وست الحسن والجمال .

وامتدت يده في لهفة مفتعلة يقبل اطراف اصابعها ، فرمته «سميحة» بنظرة باسمة فيها شيء من التعالي ، ومدت يداً مسلمة على «كريم» وجلست على مقربة . . واقبل خادماً في ملابس مزر كشة يدفع عربة فوقها اصناف غالية من الحلوى والفاكهة ، فقال «ماهر» وهو يقدم بعضها لـ «كريم»: إن حماي رجل «كريم» بحق . . هو يرسل لنا كل ما نحتاجه يوماً بيوم ولا ييخل علينا بشيء .

لم يعلق «كريم» وتكدرت ملامحه بطيف يأبى ان يفارقه ونهضت «سميحة» معتذرة بتغيير ملابسها وغادرت الصالة الواسعة . ولاحظ «ماهر» تجهم «كريم» فسأله: ماذا بك؟ ولكن «كريم» اشاح بوجهه بعيداً دون ان ينطق ، فضاقت عينا «ماهر» قبل ان يقول: لقد فهمت . . انها تلك الفتاة «نيفين» . . لقد بدأت رومانسيك في النواح وسكب الاحزان أليس كذلك؟ ١٩ .

واضاف متهمكماً: كان الافضل لك ان تصبح كاتب قصص
رومانسياً بدلاً من صحفي التحقيقات المثيرة .
انتفض «كريم» في غضب صائحاً: لا أسمح لك بالسخرية
من مشاعري .

فحدجـه «ماهر» بنظرة خبيثة قائلاً: رويدك رويدك . . هل
تعلقت بها الى هذا الحد؟

ورمقه «كريم» بدوره بنظرة مقطبة هامساً: لو انك تفهم في
مثل هذه المشاعر لأخبرتـك بما أحسه الآن .

ابتسم «ماهر» في مكر وقال: واذا كانت هناك اخبار سعيدة
لك . . فماذا ستكون مكافأتـي؟
- اخبار سعيدة . . ما هي ؟
- «نيفين» .

هزه سماع الاسم فهتف في لهفة: ما بالها؟
- انها ليست مرتبطة بأي انسان .
- ماذا؟

قفز «كريم» من مقعده ، وقد اخذته المفاجأة ، ثم تقلصت
ملامحه واثار نحو «ماهر» في غضب قائلاً: هل عدت
للسخرية بي؟

ولكن «ماهر» قال في جدية: لا . . . أوكد لك . . . فقد استفسرت منها بنفسى عندما جاءتنا للمباركة على الزواج امس .
- ماذا تقول . . . ولكن . . . ما هي حكاية قرييها هذا؟

هز «ماهر» كتفيه في عدم اهتمام قائلاً: لقد فسرت لنا الامر بأنها في كل مكان تذهب اليه ، كانت تجد من يحاول مضايقتها او مغازلتها والتقرب منها بدعوى انه يريد خطبتها . .
فاخترعت هذه القصة لإبعاد امثال اولئك المشاغبين .

اتسعت عينا «كريم» بيهجة طاغية . . . بدا الامر وكأنه حلم او حل سحري . واندفع نحو «ماهر» وهزه من كتفيه صائحاً في فرحة طاغية: هل تقول الحق؟

فهتف متألماً: أوكد لك ، ولكن ابعد يدك عني واهداً .
عاود «كريم» الجلوس بأنفاس لاهثة . . . واقبلت «سميحة» وقد ارتدت فستاناً ذا ألوان صاخبة يدل على ذوق لا رقة فيه ، وقالت لـ «كريم»: إن ما يخبرك به «ماهر» هو الحق . . . والاكثر من ذلك انني تحدثت معها بشأن استعدادها للزواج اذا ما تقدم لها شاب مناسب وجاد فلم تمنع .

سألها «كريم» متلهفاً: هل تقصديتنى؟
أجابته باسمه: بالطبع ومن غيرك .

قال «كريم» ورأسه تدور: لا أكاد اصدق . . كأنني في حلم .
مال «ماهر» هامساً لـ «كريم»: ولكن لا تزال امامك فرصة
اخيرة للتفكير . . فهي من اسرة متواضعة ولن يمكنها حتى ان
تأتبك بشقة او اي اثاث . .

صاح «كريم» في فرحة: لا اريد منها شيئاً على الاطلاق .
ورمت «سميحة» زوجها بنظرة غاضبة فأصابه الارتباك وقال
في تلعثم: بالطبع ان الرجل لا يطمع في شيء من زوجته غير
حبها . . مثلما حدث معي انا و«سميحة» . . فقد ربط الحب بيننا
قبل اي شيء آخر

فرمت «سميحة» زوجها بنظرة طويلة كانت تحمل معاني
كثيرة . . وقد بدت برغم سنوات عمرها القليلة ذات نضوج
منحته لها ثروة ايها .

وقالت «سميحة» لـ «كريم»: ان كانت لا تزال لديك رغبة في
الارتباط بها ، فيمكنني ان ادبر موعداً لك مع والدها . . .
أجابها في انفعال: هذا هو ما اريده بالفعل . . .

قالت «سميحة»: حسناً . . سوف اتصل بوالدها بعد قليل
لتحديد موعد مقابلتك له . . وفي المساء يمكنك الاتصال بنا
لأنخبرك بهذا الموعد .

قال «ماهر» : وانا سأذهب معك طبعاً لأخطبها لك .
نهض «كريم» شاكراً وهو يكاد يطير من السعادة . .
واوصله «ماهر» الى باب الشقة وهمس له وهو يودعه: امامك
فرصة اخيرة للتفكير ، فهي من اسرة متواضعة ولن تستفيد
بزواجك منها اي شيء .
وغمز بعينه مضيفاً: خذ عبرة من النعيم الذي أرفل فيه ،
ولا تكن هاوياً للفقير .

ولكن «كريم» لم يستمع لشيء .
وقفز السلالم وهو يصفر من شدة السعادة . .
فوجئ بـ «نشوى» وهي توقف سيارتها الفاخرة امام مدخل
العمارة . .

فتوقف «كريم» مبهوراً يراقب السيارة التي لا يقل ثمنها عن
مليون جنيه ، ولا يملكها في «مصر» بأكملها غير بضعة
اشخاص يعدون على اصابع اليد الواحدة .
وما ان لمحته «نشوى» حتى غادرت سيارتها بسرعة واقبلت
نحوه هاتفة بعينين متألقتين :

- «كريم» ! يا للمصادفة السعيدة .
ابتسم «كريم» قائلاً: كيف حالك يا «نشوى»؟

واضاف دون حسد: إن سيارتك رائعة جداً .
فمطت شفيتها دون اهتمام قائلة: انني اغيرها كل عام . .
ويضايقني ان اجد احداً آخر يمتلك مثلها .
فراقبها «كريم» ببعض الدهشة ، كان من الواضح ثراء
عائلتها الفاحش .
ومدت «نشوى» اصابع طويلة ممتلئة دافئة جريئة لتمس
كفه ، وحدقت في عينيه هامة:
- انتظرت ان تجيء مكتب ابي . . ولكنك لم تأت . . .
تذكر «كريم» البطاقة التي تركتها له واغراء عينيها فقال
مرتبكاً وهو يسحب كفه من اصابعها:
- لقد انشغلت الايام الماضية في عملي ، ونسيت امر زيارتي
لك تماماً .

همست في اغراء: إذن هل نتظرك هذا المساء؟
هتف بسرعة: هذا المساء . . لا ، إنني مشغول جداً . . ربما
في يوم آخر فإنني متعجل .
ولوح لها بيده وقد عادت البهجة ترسم فوق ملامحه . .
ولكنها لم تيأس واندفعت خلفه وتلك الابتسامة الدافئة فوق
شفيتها وهمست له: هل أوصلك بسيارتي؟

قطب «كريم» حاجبيه مفكراً ثم قال: لا بأس . . فإني انتظر
مكالمة في منزلي قد تأتي في أي وقت .
سألته بفضول: مكالمة مهمة . . ممن؟
اجابها بسرعة: من «سميحة» . . ابنة خالتك . .
سألته في شك: ولماذا؟

كان السؤال مباغتاً فتطلع اليها في حيرة . . لم يكن هناك
مفر من اخبارها . . رغم يقينه بالصدمة التي ستحدثها اجابته
وقال بعد تردد:

- انها . . انها سوف تنقل لي موعد ذهابنا الى والد
«نيفين» . . لأنني انوي خطبتها .
تراجعت «نشوى» للوراء كأنها تلقت لكمة مفاجئة قاسية
وصرت اسنانها . . والتهبت عيناها بغضب حار . . وارتجفت
اصابعها وهمست في حدة هاتفة:

- ايها المخادع . . ماذا اعجبك في تلك التافهة؟
تراجع «كريم» للوراء في دهشة وقلق قائلاً: انني لم اعدك
بشيء . . ولم يكن بيننا شيء ما .
ولكن صراخها علا وقد بدا اقرب الى الهستيريا: ابتعد
عني . . ابتعد عني فلا اريد ان اراك مرة اخرى .

واندفعت الى سيارتها . . وانطلقت بها وصوت عجلاتها
فوق الارض كأنه زئير وحش غاضب . . ولولا ان قفز
«كريم» من طريقها لدهسته عجلات سيارتها .

* * *

اتفاق

تألق «كريم» وذهب مع «ماهر» في الموعد الذي حدده الأب. كان مدخل المنزل مظلماً تفوح من حيطانه رائحة الرطوبة ويبين تهرؤ حجارته، وقال «ماهر» في غيظ وهما يصعدان السلالم المتآكلة: أنت دائماً تهوى الفقر ولا تبصر أين تقودك خطواتك. . . وتوشك أن توقع نفسك في زواج ستندم عليه طوال العمر.

نفذ صبر «كريم» وهو يهتف في ابن عمه: لقد مللت سماع هذه الكلمات منك للمرة الالف. . . فكف عن ترديدها كالبيغاء.

فقال «ماهر» محتجاً في غيظ: وما هو عيب «نشوى» أيها الاحمق؟

- «نشوى»؟

ردد «كريم» الاسم دون ان يستوعب عقله صاحبتة ،
فواصل «ماهر» : هل نسيت صاحبتة ، ما الذي لا يعجبك
فيها . . انها جميلة ووالدها احد اثرياء «مصر» ، وهي معجبة
بك جداً وتكاد تموت غيظاً لتجاهلك لها . .
وغمز بعينه مواصلاً في صوت لاهث : انها وحيدة ابويها
وكل ثروته باسمها .

التفت «كريم» اليه بدهشة متسائلاً : وكيف عرفت بأمرها؟
قال وهو يزفر : لقد جاءت هذا الصباح مع والدتها التي
انتحت بي ركناً وحاولت اقناعي بأن اجعلك تتقدم لـ «نشوى»
طالباً يدها لأنها معجبة بك ، وان تنسى امر «نيفين» ، وهم
جميعاً تحت امرك في كل ما تطلبه .

قال «كريم» ساخراً : انا لست سلعة تباع وتشتري يا
عزيزي .

قال «ماهر» متأسفاً : هذا ما أخبرت «سميحة» به وان
رومانسيتك لا يغريها غير الفقر ، فتعاركت معي وقالت لو
كانت تعرف ان «نشوى» ابنة خالتها معجبة بك ما قامت
بترتيب لقاءك بوالد «نيفين» .

فرمقه «كريم» في صمت . . وقال «ماهر» مرتبكاً : انني

بالطبع رجل البيت . . ولكن هناك شؤون نسائية لا أتدخل فيها .
دق «كريم» جرس الباب دون ان يعلق . . ومرت لحظات قبل
ان يفتح الباب ويطل منه وجه متجهم يتفحصهما في تقطيب . .
فأحس «كريم» بارتباك لحدة النظر ، وقال «ماهر» :
- انني الدكتور الشهير «ماهر» ، وهذا ابن عمي الصحفي
المعروف «كريم» ، ونحن على موعد بخصوص الـ . .
ولكن الرجل قاطعه قائلاً: تفضل بالدخول . . أنا والد «نيفين» .
وقادهما عبر الصالة الضيقة وهما يرمقان بعضهما بعضاً في
دهشة بسبب تقطيب الرجل وتجهمه .
واستقروا أخيراً في حجرة صالون ذات اثاث قديم . .
وكانت ثمة صورة لـ «نيفين» معلقة على الحائط التقطت لها منذ
سنوات فبدت فيها كطفلة شقية تبسم في مرح ، فتطلع اليها
«كريم» في شغف ، ولكن صوت الاب قطع عليه استغراقه قائلاً:
لم تقدم لي نفسك .
كان لا يزال على تجهمه وتقطيبه ، وأحس «كريم» ببعض
الارتباك فنظر اليه «ماهر» لائماً .
ولكن «كريم» استجمع شجاعته قائلاً: لا اشك انك تعرف

انني اعمل صحفياً . وربما تكون قد قرأت لي بعض التحقيقات
الصحفية في جريدة «الاضواء» التي اعمل بها .
- وبعد؟

كانت لهجة الرجل غير مرحبة ولا ودودة . .
وواصل «كريم» مقطباً في بعض الضيق: إن مرتبي ممتاز
ويتيح لي ان اعيش حياة «كريمة» وان أرعى اسرة ، كما انني
امتلك شقة مؤثثة لا تنتظر غير العروس .
وأكمل «ماهر» بابتسامة ساخرة لوالد العروس: و«كريم» لن
يكلفكم شيئاً من المصروفات فهو يعرف ظروفكم المادية
ومستعد لتحمل كافة النفقات . . .

زادت تقطية الاب وحقق في «ماهر» بغضب مكبوت ،
ونظر «كريم» لائماً لابن عمه . . وقال الاب في برود: كنت
انتظر ان يأتي معك ابواك او اي احد كبير من عائلتك .

«كريم»: سوف يأتيان في المرة القادمة بإذن الله . فهما
يعيشان في الريف وسيستغرق الترتيب لمجيئهما بعض الوقت .

وأقبلت «نيفين» بعد قليل . . كانت ترتدي بلوزة بيضاء
ذات اكمام قصيرة وجيبية طويلة وقد عقصت شعرها بتوكة
على شكل فراشة حمراء . . وفاض وجهها بابتسامة واسعة . .

اما اول ما خطف البصر فيها فكان عينيها الفيروزيتين الساحرتين .
نهض « كريم » مرحباً . . . ومست اصابعه كف « نيفين »
عندما تصافحا فدق قلبه بشدة واحس كأنه امتلك العالم في
قبضته .

وجلست في مواجهته ، فواصل « كريم » تحديقه الى عينيها
مبهوراً مأخوذاً . ونهض الاب قائلاً بتقطيب اشد لابتته
و« كريم » : سأترككما قليلاً ليتاح لكما الحديث في حرية .
واشار لـ « ماهر » ان يتبعه . . . وخطا الاثنان خارج الحجرة .
ومرت لحظة صمت و« كريم » يشعر ببعض الحرج وقليل من
الضيق . . . وهمست « نيفين » تقول له :
- ماذا بك ؟

كان صوتها عذبا رقيقاً كنسمة ريعية ، فهمس يقول في
بعض الالم : يبدو ان والدك غير مرتاح لي ، فهو قد عاملني
بطريقة خثينة ودون ابتسامة واحدة منذ رأنا .
اكتست عيناها بقليل من الحزن النبل وقالت : لا تلم والدي
فإنني ابنة وحيدة له ، وهو يشعر ان زواجي سيحرمه مني ،
ولذلك تراه حزينا رغماً عنه .
وصمت لحظة ثم اضافت :

- وهناك سبب آخر . فبعد ان اتصلت «سميحة» بأبي
وزكك له عادت واتصلت به وطلبت منه ان يرفضك دون ان
يسأل عن السبب .

تطلع «كريم» الى «نيفين» في دهشة ، فواصلت في رقة:
بالطبع لم يكن صعباً ان أضمن السبب . . ولكن ابي ليس ممن
يسرون على هوى البعض ، ولذلك اصر على استقبالك وان
يقرر بنفسه قبولك او رفضك .

اشرق وجه «كريم» وغمرته السعادة وقال: اذا كان الامر
هكذا فلا بأس . . وانني اعتذر عن ملاحظتي بشأن تجهم
والدك .

وطوقها بعينه هامساً: أنت لا تدريين كم أعجبت بك عندما
شاهدتك في حفل زواج «ماهر» و «سميحة» . . لحظتها
أحسست انني عثرت على الانسانة التي بحثت عنها طوال
عمري .

ورمقها بعينين متلهفتين كأنه يؤكد لها ما يقوله ، فتورد
وجهها بحمرة خجل رائعة ولم تنطق ، وهمس «كريم»
مواصلاً: وعندما سألت عنك واخبروني انك مرتبطة كدت
أجنّ الى ان اخبرني «ماهر» بالحقيقة .

ابتسمت «نيفين» عن اسنان لؤلؤية وقالت ضاحكة: ما العمل وعبارات الغزل والتودد كانت تلاحقني في كل مكان اذهب اليه ، ولذلك اضطررت لاختراع هذه الكذبة الصغيرة لإبعاد هواة الغزل عن طريقي .

قال ضاحكاً: لحسن الحظ انني اكتشفت الحقيقة سريعاً . قطبت «نيفين» حاجبيها في اهتمام متسائلة: إنني منذ اكثر من شهر لم اقرأ لك اي تحقيق في الجريدة . فما السبب يا ترى؟ اصابته الدهشة لكلماتها وقال متعجباً: وهل كنت تقرئين لي؟ أجابته دون ان تخفي اعجابها: طبعاً . . ولا استطيع ان انكر اعجابي بما تكتبه ، بمغامراتك الصحفية من قبل ان اراك ، واصرارك على كشف الحقيقة ومطاردة الفساد والمفسدين وكل اشكال الانحراف بالرغم مما تتعرض له من مخاطر بسبب ذلك . حذق فيها «كريم» غير مصدق . . كانت بريئة كالنسمة لا تحمل اي مداراة او اخفاء للحقيقة . .

واصابها الارتباك لنظراته المدهشة والسعيدة في آن واحد ، فقالت: وفي الحفل عندما علمت من «سميحة» انك سألت عني وعرفت شخصيتك الحقيقية اصابني شيء من الارتباك . . . وغمغت في خجل مضيئة: والسعادة ايضاً .

هتف «كريم» في سرور: لا اكاد اصدق ما اسمعه منك . .
انت انسانة لا مثيل لها . . صافية مثل قطرات نبع صاف . . لا
يمكن ان يخفي حقيقته لانه لم يتعود الا على النقاء والبراءة .
نكست «نيفين» رأسها في خجل وهمست: لم اتعود في
حياتي على الغش واساليب الخداع والمداورة .
فمد اصابعه يرفع وجهها لأعلى . . وتملى من عينيها في وله
قبل ان يهمس لها بشوق:
- وانا كنت عمري كله ابحث عنك .
وهتف مضيقاً في لهفة: والان بعد ان وجدتك لم يعد هناك ما
يمكن ان يعطل زواجنا .
تساءلت في دهشة: بهذه السرعة؟
أجابها متلهفاً: ولماذا لا . . إن كل إمكانيات الزواج متاحة
لي ، وانا أؤكد لك اقتناعي بك ، ومن جانب والدك يمكنه ان
يذهب الى مكان عملي ليتحرى عني وعن اخلاقي . . وبعدها لن
يكون هناك سبب لتأخير زواجنا . . بل إنني اقترح ان تتم الخطبة
والزواج معاً في اسرع وقت . . بعد شهر مثلاً .
- ولكن . .

كان ثمة شجن في صوتها . . واكتست ملامحها ببعض

الحزن وارتعدت شفتاها . . وبدت كأنها توشك على البوح بشيء ما .
وهمس يسألها: ولكن ماذا . . فنحن الاثنان كل منا معجب
بالآخر ولست اظن ان بقية التفاصيل تهم .

ولكنها نكست رأسها واحتقنت عيناها بلون دموي
فاغمضتهما كأنها تعاني من ألم لا يطاق . .

وأصاب «كريم» الاندهاش ، وقبل ان يسألها عن سر ما تعانيه
اقتحم الاب الحجرة وخلفه «ماهر» . . وراقب الاب ابنته . .
رفعت صوبه عينين متألمتين . . وبدا كأن الاثنين يتحدثان بلغة
غير مفهومة . . حديث الشجن والألم .

ونفضت «نيفين» في تخاذل هامسة لـ «كريم»: بعد اذنك .
وغادرت المكان كالطيف قبل ان يستبقوها .

وتحرك والدها خلفها . . وجلس «ماهر» بجوار «كريم» الذي
قال مندهشاً: ماذا حدث . . هناك شيء لا افهمه ، فقد كانت
«نيفين» على وشك ان تخبرني بشيء لولا دخول والدها .

قال «ماهر» ساخراً: انها خجلى منه دون شك . . بالإضافة
الى انه يبدو قاسياً وهي تخشاه دون شك فلم تستطع اكمال
حديثك معها وغادرت المكان . . فأنت تعرف ان الفقراء لا

يملكون غير حياتهم وكرامتهم التي يعتزون بها كثيراً .
فرمقه « كريم » في تقطيب وتجهم ولم يشأ الدخول معه في
نقاش لا طائل منه .

وأقبلت الام تحمل صينية فوقها بعض الحلوى والشاي . .
واخذت مكانها امامهما مرحبة . .

كانت طيبة رقيقة مثل ابنتها تماماً . . يفيض وجهها بسماحة لا
مثيل لها .

وأقبل الاب بعد دقائق فأخذ مكانه وقال في صوت بارد:
يمكنك ان تأتي بوالديك في المرة القادمة لكي نتفق على كل
التفاصيل .

همس « كريم » : شكرا لك يا عمي . . وان كنت أرغب في
ان احصل منك على موافقة مبدئية بأن يكون الزواج بأسرع ما
يمكن بعد شهر واحد على الاكثر .

كان يتوقع رفضاً وغضباً من رجل ليس له غير ابنة وحيدة لا
يكاد يتخيلها في منزل احد سواه حتى ولو كان زوجها .

ولكن الاب نكس رأسه وبدت على ملامحه معالم صراع
قاسية ، ثم همس بصوت بارد:

- هذه هي رغبتى ايضاً وشرطى الاول .

ابتلع « كريم » دهشته غير مصدق ، وهب واقفاً يحتضن حماه
هاتفاً: شكراً لك يا عمي . . انت رجل « كريم » حقاً .

ومد يده مصافحاً ليغادر المكان ، فلم يحاول والد « نيفين »
استبقائه او دعوته على العشاء . . وبدا كأنه يتخلص من حمل
ثقيل .

* * *

الصدفة

وجاء الاهل وتم الاتفاق على كل التفاصيل . . وتحدد موعد الزواج بعد شهر ليتمكن العروسان من شراء الاثاث وتجهيز عش الزوجية . . واشترى « كريم » دبلتين ارتداهما مع « نيفين » وكانا رمزاً لارتباطهما .

وكانت الايام التالية نهرا من السعادة . . فحصل « كريم » على اجازة طويلة من عمله ، واعتاد ان يذهب الى « نيفين » كل صباح فيخرجان معاً لانتقاء الاثاث . . ويمضيان النهار في جولة قبل ان يعودا وهما يطلقان ضحكات صافية قبل ان تقتل ضحكاتهما نظرات الاب الصارمة الحادة ، فيكتسي وجه ابنته على الفور بمسحة من الحزن المرير وترتجف عيناها ويختفي تألقهما الساحر ويخيم على المكان شبح من الكآبة المقبضة .
واخيراً تم تأثيث المنزل . . ولم يعد باقيا على موعد الزواج

غير يومين فقط . . . وكان آخر ما ابتاعاه بعض التحف الصغيرة
الجميلة التي انتقتها العروس بنفسها ، ودفع « كريم » ثمنها راضياً
وحملها الى سيارته ، وعندما اخذت « نيفين » مكانها بجواره
قال ضاحكاً يسألها:

.. هل هناك شيء آخر ينقصنا؟

فتطلعت اليه عروسه بشغف ولهفة . . . وبدت كأنهما تمتص
رحيق حياتها من ازهار حبه . . . كفراشة حائرة أضناها طول
تحليق وبحث قبل أن تستقر على الزهرة الجميلة التي اختارتها .
وهمست تسأله: أخبرني يا « كريم » . . . هل أنت سعيد معي؟
فتناول اطراف اصابعها وقبلها في لهفة وهو يجيبها: أنا لم
أجرب السعادة الا معك . . . فمن قبلك كنت امارس حياتي
فأكل واشرب وانام واستيقظ واقرأ واكتب واحصل على
التحقيقات المثيرة واظن ان هذه هي السعادة في ان احيا دون
مشاكل تنغص عليّ حياتي . . . ولكنني منذ رأيتك واخترتك
ذقت طعماً آخر للسعادة . . . وادركت معنى ان يخفق القلب
لكلمة او نظرة . . . او حتى لمسة يد . . . فمجرد وجودك بقربي
يمنحني سعادة لا حد لها . . . واذا ما تأخرت عن مواعيدي دقيقة
واحدة مرت علي كدهر .

نكست «نيفين» وجهها . بدا بصرها زائغاً حائراً . . كأنما تعصف بها دوامة لا تقاوم ، فضغط «كريم» على كفها بين يديه في حنان قائلاً: هناك شيء يجب ان تعرفيه يا صغيرتي الحلوة . . وهو انني احبك . . احبك . . وهأنذا اعترف لك بها للمرة الالف .

رفعت عينيها الساحرتين صوبه . . بدت في عينيها فرحة طاغية . . وهمست تقول وبصرها يشرذ بعيداً الى عالم آخر: أنا ايضاً لم يعد بإمكانني ان انكر أنني صرت احبك اكثر من اي شيء آخر في العالم .

ارتعدت اصابع «كريم» القابضة على كفها بين راحتيه . كانت المرة الاولى التي يسمعها منها ، فأحس ان حروف الكلمة اخترقت مسامه واستقرت بين ضلوعه في موضع القلب ، وهتف في انفعال: إنك لا تتصورين سعادتي الآن لأن اسمع هذه الكلمة منك . . فقد ظننت انني سأنتظر اعواماً طويلة قبل ان اسمعها منك . . والآن انت لا تتخيلين سعادتي او هنائي .

همست تقول له: إنني اعترف بحبي لك منذ اليوم الذي جئت طالباً فيه يدي من أبي ، فاحتمالك لقسوته في معاملتك ،

وموافقتك على كل طلباته المادية ، واصرارك على الارتباط بي
وتلك النظرة المتلهفة في عينيك ، كل ذلك جعل قلبي يهفو
اليك ويدق لأجلك . . أحبيتك منذ تلك اللحظة ، وأقسمت
ان اكون لك وحدك . . ولكنتي خجلت من إعلان حبي
لك ، فهذه هي تجربتي الاولى ، وليست لي خبرة بمثل هذه
الامور ، فأنت ايضاً اول رجل في حياتي يقترب من مشاعري
الى هذا الحد .

- انني اكاد أحلق في الآفاق من فرط السعادة . . وسعادتي
قد اكتملت الان عندما تأكدت ان نبع براءتك لم تعكره اصابع
او شفاه متلهفة ظمأى لينبوعك النقي الصافي .
وعادا يترامقان كأنما يتمنيان لو أن دقائق تلك اللحظة لا
تنتهي ابداً . . وارتجفت شفتاها وبدا عليها كأنها موشكة على
البكاء . .

قال « كريم » في دهشة يسألها: « نيفين » . . ماذا بك ايتها
الحبيبة؟

تندت عيناها بالدموع ، وبدتا حمراوين بلون الدماء كأنهما
ستنفجران توا . . وهربت « نيفين » من مواجهته بعيداً واغمضت
عينيها في الم ، فعاد « كريم » يسألها في الحاح وقلق:

- ماذا بك ايتها الحبيبة؟

قالت هامسة في صوت حائر ممزق: عدني ألا تتركني مهما كانت الظروف .

تضاعف قلقه وهتف في انزعاج: أخبريني ماذا هناك؟
- عدني أولاً .

قالتها في رجاء وألم كأنما صار يقينها مزعزعا .
وهمس « كريم » يقول لها في دهشة بالغة: كيف تطلبين هذا الوعد ونحن سنتزوج بعد يومين فقط؟

انفجرت في النحيب المكتوم هامسة: عدني يا « كريم » .
رمقها في دهشة . . أدرك ان ثمة أمراً يجهله . . همس
يقول لها بلامح مقطبة: إنني أعدك .

واجهته عيناها . . كانتا تفيضان بالدموع والألم . . وكأنها
تخشى من قوة لا ترحم يمكن ان تجبره على أن يخنث
بوعده . . كانت عيناها غارقتين في الدموع . . وتأملها « كريم »
مقطبا وقال:

- لقد لاحظت منذ اليوم الاول لارتباطنا ان هناك شيئا ما
تودين لو تخبريني عنه . . شيء يضغط عليك ويكاد يحطم
اعصابك . . كنت ارى ذلك في نظراتك الحزينة وصوتك

المرتجف . . والآن اراه في ذلك الوعد الذي سألتني عنه وانت
ترتجفين من الألم والمعاناة .

وفي قسوة وبرود اضاف: والآن صار من حقي ان اسألك
عن ذلك السر الذي تخفيه عني؟

عضت «نيفين» شفتها بقسوة . . بدا عليها كأنها تصارع قوة
أكبر منها . . وزاغت نظراتها وارتعد بدنهما . وقال «كريم»
هامساً: أخبريني يا «نيفين» وسأغفر لك اي خطأ .

قالت في مرارة: ليس لي ذنب فيما حدث .
أدرك انه يقترب من هدفه فعاد يسألها في اصرار: وماذا
حدث؟

حدقت صوبه ثانية وهمست في الم: إنني أكاد اتمزق؛ فقد
شدد عليّ أبي الا اخبرك بهذا الامر . . ولكنني في ذات الوقت
لا استطيع كتمانك عنك ، فمن حقلك ان تعرف ما دمت ستصير
زوجي . . فأنا لا اقبل خداعك ابداً .

دارت في ذهن «كريم» افكار لا حصر لها . . كان بعضها
يوشك أن يلقي به فاقد الوعي . . همس في صوت متحشرج
يقول: ماذا تخفين عني؟

مرة اخرى ألقت ببصرها بعيداً كأنها لا تحتل مواجته . .

جفت الدموع في عينيها . . وبدت هزيمة مريرة فوق ملامحها
وهي تقول كأنها تشكو القدر: إني مهددة بفقدان بصري سريعاً .
كانت المفاجأة صاعقة لـ « كريم » . .

أصابه ذهول وشلل حالما التقطت أذناه كلماتها . . خيل له
انه اخطأ السمع . ارتجفت أصابعه المطبقة فوق كفيها . .
وارتعدت شفتاه ، وانتفض جسده كأنه تلقى طعنة مفاجئة . .
حدق فيها مذهولاً . . وتمتم في صوت غائب عن الوعي: أنت
مهددة بفقدان بصرك؟

استدارت صوبه مؤكدة: هذه هي الحقيقة .
تطلع الى عينيها الساحرتين . . كان بريقهما قد انطفأ
تماماً . . كأنما أصابهما موت . . وحتى لونهما الفيروزي صار
باهتاً لا حياة فيه .

وهمس يقول: مستحيل . . مستحيل .
ولكنها واصلت في مرارة: في طفولتي سقطت على جبهتي
فجرحت بشدة . . ومن وقتها بدأ بصري يضعف لتمزق شبكة
العينين . . فاضطرت لاستعمال النظارات الطبية . . ولكن بعد ان
دخلت الجامعة ورأيت نظرات الدهشة والعجب لسبك نظارتي
استغنيت عنها واستعملت بدلاً منها العدسات الطبية اللاصقة .

ارتعد «كريم» اكثر دون ان ينطق . . ونكست «نيفين»
بصرها مواصلة في همس حزين:

ولكن بصري ظل يضعف تدريجياً . . حتى انني في أحيان
كثيرة تتحول عيناى الى كرتين من الدماء الملتهبة لشدة
آلامهما . . واضطرت في النهاية لاستشارة طبيب متخصص
فأخبرني ان الشبكية اوشكت ان تنقطع تماماً وانني قد افقد
بصري خلال وقت قصير .

هز «كريم» رأسه كأنه لا يكاد يصدق ما يسمعه . . وظلت
عيناه مسجونتين فوق عينيها . . يحدق فيهما بشدة واصابعه
ترتعد .

والقت «نيفين» بصرها بعيداً وقالت: لقد اخبروني ان هناك
طبيباً عالمياً وحيداً في «امريكا» هو الذي يمكنه اجراء عملية
لإصلاح شبكية العين . . ولكن من اين لي بمبلغ يقترب من
المائتي الف جنيه من اجل السفر والاقامة ونفقات العملية .

أفاق «كريم» من ذهوله . . وزم شفتيه في قسوة وقال في
صوت مبحوح: لماذا لم تخبريني بهذا الامر من قبل؟

التفت صوبه ووجهها ينطق بالصدق: حاولت ان اخبرك
ولكن ارادتي خانتني اكثر من مرة .

واقتربت في رقة هامة: لقد عذبنى ضميري طوال المدة السابقة . . ولكني لن استطع كتمان الامر عنك اكثر من ذلك . . وهأنذا قد اعترفت لك بالحقيقة اخيراً .

ارتفع حاجباه في قسوة وسخرية قائلاً: إن هذا يفسر لي لغزاً بشأن ايك احترت في حل اسراره ، وهو سبب موافقته غير العادية على ان يكون الزواج بأسرع ما يمكن حتى لا يحدث ما يخشاه فيهرب منك العرسان ، بالرغم من انه من المفترض انك ابنته الوحيدة وهو لا يرغب في ان تغادري بيته سريعاً .

تطلعت صوبه في الم كأنها تلقت طعنة غادرة . . وواصل في قسوة اشد: انت لا تستطيعين انكار ذلك بدليل انه امرك بألا تخبريني بالحقيقة .

أدمتها قسوته فأخفت وجهها بين كفيها هاتفة في توسل: كفى . . كفى فقد نلت من الآلام اكثر مما احتمل .

وانفجرت في البكاء وكل جزء في جسدها يرتعش .
كان بكاءؤها حاراً مريراً . . وادرك « كريم » انه قسا عليها وهي بالرغم من كل شيء آثرت الاعتراف له وعدم خداعه ، واجتاحته موجة حنان تجاهها فمد يده يربت فوق شعرها الطويل هامساً: ارجوك . . كفى بكاء .

وقاد سيارته عائدين الى بيتها دون كلمة اخرى . . وآلاف
الافكار تطحن برأسه . .

وتوقفت السيارة امام مدخل المنزل . . وتراقب الاثنان في
صمت . . كان وجهها شاحباً هزيباً ، ووجنتاها مبللتين
بالدموع ، وكل جزء في جسدها يرتعد ارتعاداً خفياً . .

مدت اصابعها تمسح دموعها الذابلة وهمست تقول له في
رجاء: ألن تصعد معي الى منزلنا وتحيي ابي وامي؟

ولكنه اجابها مقطباً: لا . . انني متعب وارغب في بعض
الراحة . . وهناك صداع عنيف يكاد يهشم رأسي .

هتفت في انزعاج: سلامتك .

ولكنه ادار محرك سيارته معلناً رغبته في الرحيل . .
فتحركت «نيفين» في صمت تغادر السيارة . . وتراقب للمرة
الاخيرة فقالت تسأله: هل ستأتي في المساء؟
- لا ادري .

وانحرف يبصره بعيداً عنها . . وانطلق بسيارته في خشونة
دون ان يلقي عليها بكلمة وداع .

ووقفت «نيفين» تراقبه حتى غاب عن بصرها . . وأحست
بشيء يعتصر قلبها ويكاد يمزقه . . كان لديها إحساس قاتل

بأنها المرة الأخيرة التي تراه فيها . . كان غضبه المفاجئ وقسوته
وسخريته يوحيان بذلك . . ولكنها كلها كانت أشياء متوقعة .
وهي قد تخيلت حدوث ما هو أسوأ من ذلك . وكانت تعرف
ان المفاجأة قاسية دون شك . . ولكنها كانت تثق في حبه لها .
وهمست لنفسها: انه لن يتخلى عني ابداً . . فمن يحب لا
يقسو .

واستدارت تدخل منزلها . . وقد سرى في عروقها شيء
من الطمأنينة اعاد الى سرايينها تدفق الدماء .

* * *

وداعاً

أطلق «ماهر» ضحكة ساخرة . . وضرب كفا بكف وهو
يواصل قهقهته صائحاً: يا لها من نكتة .

وعاد يواصل ضحك الساخر . . وانفجر فيه «كريم» في
غضب حاد قائلاً: توقف عن هذا الضحك الأبله .

فحاول «ماهر» التحكم في ضحكته قائلاً: ألم يكن ينقصك
إلا هذا؟

وتوقف عن الضحك ورمى ابن عمه بنظرة متهمكة قائلاً:
أنت محظوظ دائماً يا صديقي والا ما القى القدر بتلك الفتاة
في طريقك ، وما جعل أحداً غيرك يعجب بها ويصر على
الارتباط بها بالرغم من كل شيء . . والآن ها هو القدر يزيد
من حظك بتلك المفاجأة الرائعة فتعرف قبل الزواج بيومين فقط
ان عروسك على وشك ان تصبح عمياء .

ومال برأسه في تهكم وعينه ترسلان وميضاً متصلاً من
السخرية ، وقال مواصلاً: هل كنت تريد رومانسية أكثر من
ذلك . . انت نفسك لو كنت تكتب رواية وحاولت ان تضع لها
نهاية بمفاجأة غير متوقعة ما امكنت ان تتخيل ذلك . . وهو امر
رائع كما ترى وسيحسدك عليه كل المتزوجين . . لأنهم لا
يملكون مثل تلك النعمة في ان تكون زوجاتهم لا يصرون . . .
وانت طبعاً لست من الصنف الذي يكسر قلوب العذارى
وخاصة انها اعترفت لك بحبها . . وحتى ان كان هناك شك في
انها ما اعترفت لك بالحب الوهمي الا لتسج شباكه اكثر حولك
لأنك رقيق وعاطفي ، لا يمكنك ان تتخلى عن فتاة مسكينة
مهدة بالعمى حتى لا يصفك احد بالجن والندالة . . ولأن
الرومانسيين لا يتوقفون للتدقيق والبحث عن الحقيقة او السعي
وراء مصلحتهم ، ومن ثم فليست هناك مشكلة يا عزيزي . .
انها فقيرة وعمياء في نفس الوقت ، ولكن «الشاطر حسن» لا
يمكن ان يتخلى عن ست الحسن والجمال حتى لو كانت مصابة
بكل امراض الدنيا ، فما هي المشكلة؟

هتف «كريم» في ألم: كفى يا «ماهر» . . لم اعد احتمل المزيد .
واجهه «ماهر» في قسوة: انت لا تستحق غير السخرية . .

أبعد كل ما اكتشفته تأتي وتسألني ماذا تفعل؟
حديق «كريم» في الفراغ وهمس في معاناة: إنني أكاد أجن
واعجز عن التفكير .

واصل «ماهر» في قسوة اشد: هذا لأنك مجنون بالفعل . .
إن شخصاً عاقلاً له مستقبل لامع مثلك لا يرتبط بفتاة مثلها . .
فما بالك عندما يكتشف أنها واباها كانا يخدعانه للإيقاع به في
حبائل زوجة ستصير عمياء بعد أشهر أو أسابيع .

«كريم»: هي لم تخدعني . . بل أخبرتني بالحقيقة .
«ماهر»: لأنها تعرف يقيناً أنك احمق ومتسرع وغبي . . وهي
واثقة ان رومانسيك وحبك الأبله لها سيدفعانك للتمسك بها . .
لأنها لو لم تخبرك لاكتشفت الحقيقة بنفسك بعد الزواج .
وواصل في تهكم اشد: إنها ذكية يا عزيزي . . وقد
اختارت توقيتاً مناسباً لإخبارك بالحقيقة . . بعد ان تأكدت انك
تعلق بها اكثر وبعد ان جهزتما عش الزوجية ولم يعد هناك
فرصة للتراجع!

بدت الفكرة غريبة على «كريم» ، لم يفكر فيها من قبل ،
فالتفت الى «ماهر» متسائلاً في ذهول:
- هل تظن ذلك حقاً؟

مال «ماهر» نحو ابن عمه ، وواصل في صوت كالفحيح:
فكر في الامر بروية وتعقل ، إنها حتى لم تعترف لك بحبها الا
قبل ان تعترف لك بمسألة عينيها . . كأنها تطوقك بمشاعر
الحب قبل ان تلقي لك بالصدمة القاتلة . . ولكي يكون في
حبها ما يخفف من وقع الصدمة عليك . . وهو كما ترى
اسلوب محترفين يا عزيزي .

أنهى «كريم» وجهه بين كفيه في الم هاتفاً: ولكني
أحبها . . أحبها .

أشاح «ماهر» يده في غضب هاتفاً: إنه حب البلاء
والجنانين . . فالفراشات المجنونة تحب الشعلات الموقدة ، وتظل
تحوم حولها قبل ان تهلك في اتونها . . عليك ان تفيق يا
صديقي من هذا الوهم . . وان تأخذ قراراً عقلانياً قبل ان تدمر
حياتك بيدك .

- هل تقصد ان اتركها؟

- وماذا غير ذلك . .

- ولكن . . ولكني وعدتها الا اتركها ابداً .

- أنت وعدتها قبل ان تدرك الحقيقة . وبذلك انت في حل

من هذا الوعد . . . وكان عليها ان تسألك عن هذا الوعد بعد
اطلاعتك على الحقيقة وليس العكس .

حديق «كريم» في الفراغ حوله . . . كان يبدو مشغولاً
ضائعاً . . . لا يكاد يقوى على النطق . . .

وقال «ماهر» في برود: دع لي مهمة إخبارها بالأمر فتكون
قد أصلحت خطأك دون خسائر تذكر .

وأضاف في قسوة: وستكون سعادتي لا حد لها وانا اخبر
والدها هذا اللفظ المتجهم بأنك لم تعد ترغب في الزواج من
ابنته بسبب الغش والخداع . . . وبعدها . . .

وأطلق ضحكة قصيرة قبل ان يكمل: بعدها سوف تنزاح
الغشاوة عن عينيك . . . فتستطيع ان تكتشف من يحبك حقيقة
وسيحقق لك السعادة ورغد العيش والهناء والثروة .

وغمز بعينه مضيئاً: انا اتحدث عن «نشوى» طبعاً يا
عزيزي . . . ابنة «مراد بك» . . . الذي تتجاوز ثروته المائة مليون
جنيه .

* * *

وضع «ماهر» الدبلة فوق المائدة ووضع ساقاً فوق ساق وهو
يقول للرجل المتجهم الجالس امامه:

- إن «كريم» ابن عمي يعيد اليكم الدبلة ويتأسف عن إتمام
زواجه من «نيفين» .

ارتسمت نظرة مجنونة في عيني الاب ، وصاح في صوت
مزمر هادر: ماذا قلت؟

واصل «ماهر» في استهزاء: لقد قلت ما سمعته مني حالاً . .
و«كريم» يقول لك انت بالذات انه ما كان يصح ان تغشه او
تخدعه . . وكان اولى بك ان تخبره بالحقيقة .

زمجر الرجل في صوت لاهث: اية حقيقة؟
واجهه «ماهر» بعينين ساخرتين قائلاً: أنت تعرف ما
اقصده . . واعني امر عيني ابتك ومرضها وانها توشك على ان
تفقد بصرها .

شحب وجه الاب واصفرت عيناه وارتعدت شفتاه وتسمر
مكانه . . بدا كأن شخصاً ما القى به في قلب نهر متجمد . .
وتصاعد لهائه حتى صار اقرب الى الفحيح . . وقال في صوت
كأنه خارج من بئر: من أخبره بذلك؟

أجابه «ماهر» مستهزئاً: إن الحقيقة لا تختفي للنهاية يا

عزيزي ، وكانت ابتكت تدرك ذلك فأخبرت « كريم »
بالامر . . والآن وداعاً .

ونفض وتحرك نحو الباب تاركاً الأب وقد أخفى وجهه بين يديه . .
وصفق « ماهر » الباب خلفه بعنف . .
ورفع الأب عينين بلون الدماء القانية . . كانت زوجته
جالسة بجواره وهي تنهه باكية مولولة كأنها فقدت عزيزاً .
ونفض الأب كأنما يحمل فوق كتفيه عبئاً ثقيلاً . . وتحرك
بأقدام يجرجرها فوق الأرض . .

كانت « نيفين » واقفة في مدخل الصالة مثل تمثال من
شمع . . وسمعت ورأت كل شيء . . ورمقها والدها في نظرة
عتاب ولوم حزينة ولم تنطق شفتاه بكلمة واحدة . . ونكس
رأسه في مرارة وتحرك نحو حجراته وهو يعاني من هزيمة
قاسية . وبقيت « نيفين » مكانها . .

تساندت على الحائط بجوارها . . أدركت منذ اللحظة
الاولى التي شاهدت فيها « ماهر » انه جاء يحمل انباء سيئة . .
لم تصدق للوهلة الاولى . . كان قلبها يرفض ان يصدق ان
« كريم » يمكن ان يتخلى عنها . . كان لديها يقين بأنه يحبها الى
آخر عمره . . وان من يحب لا يقسو . .

هي لم تتخيل انه يمكن ان يتخلى عنها لحظة واحدة . . ان يغادر زورق حياتها قبل ان يقلع . . ان يتركها موصومة بأقاويل الناس عندما يعرفون ان عريسها قد تركها قبل زفافها نيوم واحد فيخمنون الف سبب لذلك .

كان قد وعدّها . . ولكنه خنت بوعدّه . .

وهي وعدته . . وما كان في استطاعتها ان تخنت بوعدّها ابداً .

ولكنه تركها الى الابد . . ولم يعد يرى فيها غير محتالة ومخادعة . . فما أشد اللطمة القاسية التي صفعها بها . .

وتندت وجنتاها بالدموع وقدمائها لا تكادان تقويان على حملها . . واغمضت عينيها مبتهلة لله ان يغلق بصرها الى الابد في نفس اللحظة . . فما عادت ترغب في ان ترى شيئاً ولا انساناً آخر في العالم . . بعد ان رحل عنها الرجل الوحيد الذي احبته بكل مشاعرها .

وتهاوت على الارض دون حراك فاقدة وعيها .

* * *

رحلة شهر العسل

قالت «نشوى» في صوت يفيض رقة: كنت واثقة انك ستعود لي .

فرمقها «كريم» بصمت مراقباً عينيها الساحرتين العامرتين بالجرأة . . واستطردت في صوت هامس:

- منذ اللحظة الاولى التي شاهدتك فيها ادركت اننا سنصير زوجين . . وها هو ظني يوشك ان يتحقق .

قالت «سميحة» باسمه: لا شيء ينسي الانسان حبا قديماً غير حب جديد . . وانا واثقة ان «نشوى» ستجعل «كريم» ينسى «نيفين» تماماً .

هتف «كريم» مقطباً في ألم: هذه صفحة قد طويتها من حياتي . . ولا احب ان يتحدث عنها انسان امامي مرة اخرى . هتفت «نشوى» في فخر: هذا افضل .

«سميحة»: الآن يمكننا الاتفاق على كافة التفاصيل .

«ماهر»: لقد اخبرت «كريم» ان والد «نشوى» سيتمنحه ثقة

فانخرة مطلة على النيل و . .

ولكن «كريم» قاطعه قائلاً: انا لا اريد شيئاً . . والانسانة

التي سأ تزوجها سأنفق عليها من مالي . . وأنا لذي شفتي

الخاصة ولا ينقصها شيء . . فلا تكرر هذا الحديث امامي مرة

اخرى يا «ماهر» .

والتفت الى «نشوى» في تقطيب مواصلاً: إن إمكانياتي

المادية متواضعة جداً بالنسبة لثروة ابيك الهائلة . . ولكن عليك

ان تتأكدي انني لن اعيش الا من راتبي وفي حدود إمكانياتي

المادية . . ولا شيء سيجبرني على الاقتراب من مال ابيك او

التمتع به .

فرمته «نشوى» بنظرة مأكرة متسلية وهي تقول: هل تعتبر

عياً ان تكون زوجتك ثرية وتتمتع بمالها؟

رمى «كريم» «ماهر» لحظة ثم قال: لكل انسان الحرية في

افكاره ومعتقداته . . وأنا لن ارتاح الا في مسكني الخاص

وبمالي الخاص . . وهذا هو شرطي الوحيد للزواج .

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي «نشوى» وهمست:
أنت رجل رائع بحق . . . والآن زادت سعادتي بعد ان ادركت
انك لن تتزوجني طمعاً في مال او ثروة . . . فهذا هو ما كنت
اتمناه من الرجل الذي سأرتبط به . . . أن يتزوجني لذاتي وليس
لثروة ابي .

شحب وجه «سميحة» ورمت يبصرها الى «ماهر» الذي
اصابه الارتباك والاحراج ، فنهض مغمغماً: سوف آتي
بمشروب بارد لكما .

ونفضت «سميحة» قائلة بتقطيب: سنتر ككما لتمكنا من
الحديث في حرية .

وغاب شبح الاثنين داخل المطبخ ، فقالت «نشوى» هامسة لـ
«كريم»: سوف اجعلك تنساها . . . وستشكرني على لحظات السعادة
التي سأمنحها لك . . . وكل متع العالم التي سأجعلك تتذوقها .

ولكن كان ثمة سؤال ملح يدق في رأس «كريم» ، فالتفت
صوبها قسائلاً: هناك سؤال وحيد ارغب في الحصول على
اجابته . . . وهو لماذا تريدان الزواج مني؟

لم يكن السؤال مفاجئاً لـ «نشوى» . . . وقالت بابتسامة

عريضة: انه سؤال عجيب ، ولكني سأجيبك عليه بأنك شاب
وسيم وصحفي مرموق وبك جاذبية خاصة .

- إذن . . أنت تحبينني؟

- الحب انواع عديدة . . وان كان يريحك ان اعترف لك
بحبي فلا بأس . .

ومالت عليه في اغراء هامة: انا احبك ايها الوسيم . . وان
كان المفترض انك انت الذي يعترف بالحب وليس انا .

ومست خده بأصابعها فشعر بنار تتقد مكان أصابعها ،
وهمست مواصلة: هل تريدني ان اوقع اعترافاً كتابياً بحبي
لك ، ام اجعلهم يعلنون ذلك في نشرات الاخبار؟

نكس « كريم » بصره . . كان صوتها ذا رنين يدغدغ
الحواس . . وكان عطرها الفواح يكاد يدير رأسه . . أما
جراتها فلم يكن لها مثيل على الإطلاق .

وحاول ان يتماسك متغلباً على مشاعره وقال بعد لحظة:
أليس من الأفضل ان يأخذ كل منا فرصة لدراسة الآخر؟

ولكنها هزت رأسها في عناد مجيبة: انا لا احتاج لأي
وقت . . فقد اتخذت قراراي منذ رأيتك اول مرة .

- والداك . . ؟

- إنهما لا يعترضان على ما أريد .

ورمقته بنظرة جريئة مواصلة: ما رأيك في ان نتزوج اليوم؟
انتفض في دهشة متسائلاً باستنكار: اليوم؟

كشفت ابتسامتها العريضة عن صف اسنانها المنسق وقالت:
ألم تكن تنوي الزواج اليوم من «نيفين» . . اذن ما المانع من ان
نتزوج فعلاً . . فقط يختلف اسم العروس .

شحب وجهه وضعفت نبرات صوته في احتجاج: ولكن . .
ولكنها قاطعته في صوت دافئ: ارجوك . . لا تقل
لكن . . قل نعم . .

وأشعلت سيجارة فاخرة نفتت دخانها في الهواء قائلة:
سوف ارسل لأستدعي المأذون حالاً . . وغداً نسافر الى اسبانيا
لقضاء شهر العسل . . وهذه الرحلة ستكون هدية من ابي . .
واضافت بابتسامة اوسع: وستكون هناك هدايا اخرى
ثمينة . . سأشترط على ابي ان يمنحها لك بطريقة لا يجرح بها
كرامتك . . او رجولتك .

وتزوجا في فيلا الاب الفاخرة .

وفي ساعات قليلة تمت دعوة المعازيم والاتفاق مع عدد كبير من المطربين لإحياء الحفل . . وكانت ليلة انفقت فيها عشرات الالوف . . واكدت لـ «كريم» مدى الثراء الفاحش الذي يتمتع به «مراد بك» والد زوجته ، والذي كان يقال الكثير عن ملايينه التي لا حصر لها . . وعن مصادرها المجهولة .

وفي الصباح التالي طار الاثنان الى اسبانيا . . لقضاء شهر العسل في قرية سياحية يملكها الوالد على الشاطئ الاسباني . . وشعر «كريم» انه يعيش عالماً آخر . . دنيا جديدة يتعرف عليها . . وثراء لا حد له يغرق فيه . . فكل طلباته في تلك القرية السياحية مجابة وعلى نفقة والد زوجته . . وفي كل مكان كانا يذهبان اليه يحتفى بهما كعروسين سعيدين .

ومن مكانه حرر «كريم» اكثر من مقال وتحقيق بالقلم والصورة عن اسبانيا وارسلها الى جريدته . . وادهشه ان الجريدة نشرت ما ارسله اليها في اليوم التالي ، وما ان شاهدت «نشوى» صورته منشورة بجوار التحقيق حتى قفزت من السعادة ، وتألفت عيناها بوميض حاد هاتفه : هذه اجمل هدية تلقيتها بعد زواجنا .

ومسحت فوق كفي «كريم» هامة: اريد ان ارى صورتك
ومقالاتك منشورة في الجريدة كل يوم . . اريد ان اباهي
الجميع بك ليحسدوني بأنني تزوجت رجلاً شهيراً ذا مستقبل
مرموق .

واضافت باسمه: يوما ما ستصير رئيساً للتحرير . . ولو
تطلب الامر ان يشتري ابي جريدة باسمك يضعك فوق
رأسها .

فقال لها «كريم» مقطبا: لن يصنع المال مستقبلي ابداً . . بل
سأشقه بأظافري .

فقالت «نشوى» في خبث: هذه هي الاجابة الوحيدة التي
كنت اريد ان اسمعها منك ، ولو انني سمعت غيرها لتغيرت
نظرتي اليك وادركت ان اخلاقك تغيرت ايضاً .

فحدجها «كريم» بنظرة متفحصة مقطبة مفكراً ان زوجته
ليست بمثل تلك البساطة والرقه التي تبدو بها . . وانها تخفي
أظافر ومخالب ذهبية تعرف متى تستخدمها . . وكيف .

وغابت عنه طوال النهار . . لم تكن المرة الاولى التي
تتغيب فيها عنه دون ان تخبره بذلك مسبقاً ، واين كانت . .
واستقبلها في غضب متسائلاً: اين كنت طوال النهار؟

فأجابته باسمه في غموض: لا تنسَ اننا نقيم في مكان يملكه
والدي ، و اقل ما يجب ان القي نظرة عليه و اراجع حساباته
لأبعث لأبي بما يطمئنه .

وقبل ان يعترض بشيء اضافت: ولم اشأ ان اطلب منك
مصاحبتني في هذا العمل ، حتى لا تحتج بأن كرامتك تأبى
عليك ذلك .

وتركته الى الداخل قبل ان تنتظر رداً . . وعيناها تعكسان
مشاعر غريبة غير مفهومة .

وطرق الباب . .

وكان ساعي البريد .

وتسلم « كريم » بطاقة تهنئة من « ماهر » . . وفي طرفها قرأ: دائماً
كنت اقول انك محظوظ ، فتمتع بحظك يا صديقي ، وانفق من
مال حميك بقدر ما تستطيع . . فإنني احسدك كثيراً . . فما سترته
زوجتك من ايها يفوق ما سترته زوجتي مائة مرة!

وارتعدت أصابع « كريم » وبدا كمن يفيق من حلم . .
وتقلصت اصابعه على بطاقة التهنة حتى تكرمشت تماماً فألقاها
في سلة القمامة ، واندفع الى « نشوى » قائلاً: سوف نعود الى
« مصر » حالاً .

فاحتجت في دهشة: ولكن شهر العسل لم ينقض منه غير
اسبوعين فقط؟

فكرر في اصرار: سنعود الى «مصر» الآن .

ولكنها انتفضت في غضب قائلة: انا لست دمية بلهاء
تحركها كما تشاء . . واذا كنا قد قررنا من قبل ان نقضي
شهرأ في هذه البلاد فسنفعل . . ولن يجعلني شيء أغير هذا
الترتيب .

واضافت في اغراء: واذا كان الملل قد اصابك من اسبانيا
فيمكننا ان نبعث لأبي فيقوم بإرسال تذاكر لنا لأي مكان في
العالم . . ومن هناك يمكنك ان ترسل بتحقيقاتك المثيرة الى
جريدتك فيتوالى نشر صورتك كل يوم وتزداد شهرتك .
ولكنه دق الارض بقدمه كطفل عنيد قائلاً: لن اسعى خلف
هذه الشهرة التي ستمنعها لي اموال الآخرين .

وغادر المكان حائقاً . . ووقع بصر «نشوى» على بطاقة
المعايدة المطوية فالتقطتها وفردتها والقى عليها نظرة ثم ابتسمت
ساخرة .

وبقيا في اسبانيا حتى اكتمل الشهر . .

وعادا الى «القاهرة» يحملان حقائب كثيرة امتلأت بهدايا

وملابس اشترتها «نشوى» على نفقتها الخاصة . . وعاد «كريم» الى دوامة العمل اليومي . . واصر على الإقامة في شقته الخاصة . . وان ينفق من ماله الخاص . . واحتدت «نشوى» في غضب قائلة: لم افهم كيف تفكر . . لماذا ترفض مال ابي . . لقد اعتدت على حياة خاصة ومن المستحيل عليّ ان اغيرها . ولكنه اجابها في هدوء دون ان يشير انفعالها: انا لم اخدعك منذ البداية واخبرتك اننا لن نعيش الا في شقتنا . . ومن مالي وراتبي .

فصرت على اسنانها في حلق بالغ هاتفة: ولكنني لم اعد اطيق هذه الحياة . . فقد اعتدت الشراء والاتفاق . . وانا الابنة الوحيدة لأبي فاذا لم اتمتع بماله الآن فمتى سأتمتع به؟ فواجهها في حسم: انت حرة في ان تتمعي بمال ابيك كما تشائين . . ولكن لا تجبريني على ان انفق منه ايضاً . فصاحت غاضبة: انني لم اعد احتمل هذه الحياة . . فمعك اشعر كأنني سأختنق .

فاستدار ليوواجهها وفي عينيه غضب حبيس ، وقال في هدوء وصوت بارد: اخبريني . . لماذا تزوجتني؟ فلا اظن انك احببتني حقاً كما اخبرتني ذات يوم .

ولكنه لم يحظ بإجابة ما . . وغادرت «نشوى» الحجرة غاضبة وهي تصرخ فيه: سوف اترك لك هذا المنزل الحقير واذهب الى فيلا ابي ، فإذا غيرت رأيك بشأن ماله ، فيمكنك ان تأتي لتعيش معي هناك ، بدلا من حجر الفئران هذا .

وغادرت المنزل في ثورة دون ان يحاول «كريم» استبقائها . . وطرق الباب بعد قليل . وفتح «كريم» الباب .

كان «ماهر» واقفاً به ، تبين في عينيه الذلة والمهانة ، وقد بدا يائساً مرتعباً بوجه شاحب ، فسأله «كريم» في دهشة: «ماهر» . . ماذا هناك؟

فأجابه «ماهر» وهو موثق على البكاء: لقد اختلفت مع «سميحة» في بعض الامور التافهة . . فطردتني من شقتها وقالت لي انني لن اخطو داخلها مرة اخرى . . وانني لست اكثر من ذئب خبيث طامع في ثروة ايها ، وانني اذا لم ابعث اليها بورقة الطلاق غدا فسيلفق لي والدها تهمة ترسلني الى السجن .

وراح يشهق بالبكاء كطفل غرير ، فربت «كريم» فوق كتفه قائلاً بقسوة: لا تبك يا عزيزي فسوف اتدخل للإصلاح بينكما .
واضاف في تهكم: ولكن لا تعمل على اغضابها مرة اخرى والا كان مصيرك الطرد من جنتها!

الحادث

اطلق «كريم» العنان لسيارته في طريق مدينة «السويس» عائداً الى «القاهرة» . . كان قد انهى توأ تحقيقاً مثيراً عن مافيا كبار المهربين من خلال الميناء . وصلته المعلومات والمستندات من مصدر مجهول رجح انه قد يكون احد العاملين في الميناء ممن يتعاملون مع هؤلاء المهربين ، فلما استغنوا عن خدماته قرر ان يكشفهم . . وكانت المعلومات التي تلقاها تحتوي على بعض الحقائق . . واستطاع في رحلته العثور على بعضها الآخر فاكتمل لديه التحقيق المثير عن مافيا حيتان الميناء . . وما اكتشفه هناك كان اكثر اثاره مما توقع . . كان «مراد بك» . . حموه العزيز هو اول هؤلاء المهربين . . فبنفوذهم وملايينه استطاع النفاذ الى كل مكان في الميناء ليقوم بتهرب بضائعه دون ان يدفع اية رسوم جمركية . .

واكتشفت ما هو اسوأ . .

كان «مراد» مهرباً للمخدرات ايضاً . . واستطاع ان يشاهدها بعينه مخبأة داخل شحنة اجهزة كهربائية . . كان من السهل عليه ان يعثر بإحداها فيكتشف الحقيقة . لحظتها دارت رأسه وكاد يجن . . وادرك فجأة سر الثراء الذي ينعم به ذلك الرجل وسبب الغموض الذي يحيطه . .

واكتشف رجال «مراد بك» ما يفعله في الميناء فأوشكوا على الفتك به ، لولا ان تعرفوا عليه سريعاً . . واقنعهم «كريم» انه كان في مهمة لصالح حميه فأتخذوا بما قاله وتركوه يغادر المكان بلا سوء .

كان متأكداً أنه لولا تلك الحجة لمزقوه . . ففي ذلك العالم لا تأخذ هؤلاء القوم رحمة بإنسان . . وغمغم لنفسه : أترى كم عدد ضحايا هذا المجرم ، وكم عدد الذين دفعوا حياتهم ثمناً لثروته القدرة؟

وهمس لنفسه وهو يضغط فوق بدال البتزين : ولكن «نشوى» لا

ذنب لها ولا يحق لي أن أخدّها بجريرتها . . إن الخطأ هو خطأ والدها وعليه ان يدفع ثمنه ^{General General} فلا يمكن لأحد محاسبتها على اب منحرف . . حتى لو كان لها بعض من صلفه وغروره .

كانت قد تركت المنزل منذ أكثر من شهر وحاول اعادةها
أكثر من مرة فأصرت على شرطها . . وقبل ان يتخذ قراراً
حاسماً تلقى تلك المعلومات والمستندات التي اقنعتة بزيارة ميناء
«السويس» بأسرع ما يمكن .

ولمخ أخيراً مشارف «القاهرة» والنحاس يغالبه بعد يومين
قضاها دون ان يغمض له جفن وهو يلهث وراء المعلومات
ومزيد من المستندات .

ومن بعيد ظهرت شاحنة نقل ضخمة قادمة في الاتجاه المضاد
وقد انحرفت قليلاً تجاهه . . وادار «كريم» مقود سيارته الى
حافة الطريق وهو يطلق بوقاً محذراً . . ولكن الشاحنة انحرفت
أكثر لتسد عليه الطريق .

وضغط «كريم» فوق فرامل سيارته . . ولكنه فعل ذلك
متأخراً ، فقد اندفعت الشاحنة نحو سيارته لتتشمها في عنف ،
وتلقي بها على الطريق . اسرع قائد الشاحنة هارباً وزحف
«كريم» خارجاً من الزجاج الامامي المحطم وهو لا يرى شيئاً
امامه . . وما كاد يزحف قليلاً حتى دوى انفجار شديد ،
وتحولت سيارته الى كتلة مشتعلة من النار .

* * *

اندفعت «نشوى» ووالدها الى المستشفى الكبير . . وهرعا الى
حجرة العمليات . . كان بابها مغلقاً فوقفا في الخارج لحظات
و«نشوى» تضغط فوق اصابعها بعنف . اما والدها فبقي يدخن
سيجاره الفاخر ونظاراته السوداء تحجب المشاعر المختلطة في عينيه .
وانفتح باب حجرة العمليات وظهر احد الاطباء خارجاً
منها ، فهرعت اليه «نشوى» هاتفة: اخبرني ما هي حالة «كريم»؟
أجابها الطبيب في ارهاق: ان معظم اصاباته سطحية ،
مجرد خدوش وسجحات في ذراعه اليسرى . . اما الاصابة
الاكثر فهي في عينيه .

غمغمت «نشوى» في توتر: في عينيه . . هل اصيبنا؟
أجابها الطبيب: نعم فقد تطايرت شظايا الزجاج عند
الاصطدام واصابت عينيه فمزقت القرنية وتسببت في
انفجارات دموية . . واخلشى انه لن يستعيد القدرة على
الابصار مرة اخرى .

تراجعت «نشوى» للوراء بأنفاس متسارعة ، والتفتت في
حدة نحو والدها الذي حدجها بنظرة باردة من خلف نظاراته .
فاندفعت تجري الى نهاية الطرقة كأنها تهرب من شبح ما .

وبقي الاب مكانه . . كان ثمة غضب في عينيه كأنه كان
ينتظر نتيجة اسوأ ، وغمغم للطبيب:
.. وهل سيستعيد قوته سريعاً؟
أجابه الطبيب: لا شك في ذلك . . ولكنه سيبقى اعمى
للأبد .

تحرك الاب فغادر المكان . . كانت النتيجة بالنسبة له لا بأس
بها وان لم يتحقق الغرض كاملاً . . وغمغم لنفسه: لعل هذا
الدرس يقنعه الا يدس انفه فيما ليس له بعد ذلك .
وعلى باب المستشفى اندفع «ماهر» داخلاً . . وما ان شاهد
«مراد بك» والد «نشوى» حتى هرع اليه هاتفاً في جزع: «مراد
بك» . . ماذا جرى لـ «كريم»؟
أجابه «مراد» في سخرية: انها مجرد حادثة صغيرة فقد فيها
عينيه وان لم يفقد حياته .

صرخ «ماهر» في جزع: هل فقد «كريم» بصره؟
فأمسكه «مراد» من ياقته ، وخلع نظاراته فبان عينا
دمويتان ، وقال في صوت حاد كالموسى: لقد انقذه القدر هذه
المرّة فلم يفقد غير عينيه ، وفي المرّة القادمة اخبره انني سأقوم
بتقطيع رقبتة بنفسى إن حاول التدخل في شؤونى .

واندفع يغادر المكان نحو سيارته الفاخرة التي كان يقوم
بحراستها ثلاثة من الرجال الاشداء .
وغمغم «ماهر» في ذهول: إنني لا افهم شيئاً مما يعنيه هذا الرجل .
ثم هرب الى داخل المستشفى .

* * *

تململ «كريم» فوق فراشه . . وتأوه وهو يشعر بالآلام التي
تغزو جسده . . وبدأ يتنبه أخيراً . . وحاول ان يفتح عينيه ولكن
كل شيء كان مظلماً حوله . . ولم يشعر بعينه على الاطلاق . .
بل كان ثمة ألم حاد فيهما كأنما انغرزت فيهما آلاف السكاكين .
ومد اصابعه يتحسس وجهه فلمست اصابعه الضمادة الثقيلة حول
وجهه وعينه .

لم يدرك الحقيقة على الفور . . وبدأ يتذكر كل ما جرى
له . . والشاحنة الطائشة التي صدمت سيارته وهشمتها . . وتنبه
الى ان يده اليسرى كانت داخل جبيرة وتسبب له ألماً حاداً .
وهتف «ماهر» بجواره في لهفة: «كريم» . . لقد أفقت
أخيراً . . الحمد لله .

غمغم «كريم» وقد تعرف على صوت ابن عمه : «ماهر» :
من أخبرك بأمر الحادثة؟

أجابه «ماهر» وهو يخفي دموعه: بعد وصولك المستشفى
عثر الاطباء على نوتة تليفوناتك في جيبك ، فجربوا الاتصال
بأكثر من رقم فهرعت ، الى المستشفى منذ ثلاثة ايام
واكتشفت حقيقة الحادث .

غمغم «ماهر» في دهشة بالغه: ثلاثة ايام . . هل ظلت فاقداً
الوعي كل هذا الوقت؟

- نعم . . هذا هو ما حدث .

- و«نشوى» . . أين هي؟

غمغم «ماهر» في صوت مسحوق: «نشوى» . . إنها . .
إنها لم تعد مرة اخرى منذ جاءت اول مرة الى المستشفى مع
ابيها وعرفا حقيقة اصابتك .

اعتدل «كريم» مكانه في دهشة هاتفاً: ماذا قلت . . ألم تأت
«نشوى» للسؤال عني بعدها؟

أجابه «ماهر» في صوت خافت: لا إنها لم تفعل . . وما
عرفته بعدها من «سميحة» انها ذهبت الى شقتك وانخذت كل
ملابسها من هناك . . وهي تنوي ان تطلب الطلاق منك .

- «نشوى» . . مستحيل ان تفعل ذلك . . انها تحبني ولا
يمكنها ان تتخلى عني ببساطة لمجرد انني اصببت في حادث .
وتذكر اشياء كثيرة وغمغم لنفسه: لا بد ان والدها اجبرها
على ذلك . . هذا لا شك فيه .

قال «ماهر» في قسوة: لا يا «كريم» . . إن والدها لم
يجبرها على شيء . . بل هي التي قالت لـ «سميحة» انها لا
يمكن ان تعيش مع رجل اعمى .

تساءل «كريم» في ذهول وجزع: أعمى؟
وانعقد لسان «ماهر» وشحب وجهه . . أفلتت الكلمة من لسانه
رغماً عنه . وردد «كريم» في ذهول: هل قلت أعمى . . أنا . .
أعمى؟

ومد أصابعه في جنون يحاول انتزاع الرباط حول عينيه فصاح
«ماهر» به:

- لا يا «كريم» . . لا . .

ولكن أصابع «كريم» واصلت عملها المحموم . . واخيراً مست
أصابعه وجهه وراح يتحسس مكان عينيه اللتين لم يبصر بهما شيئاً .
واكتشف في اللحظة التالية حقيقة ما جرى لهما . .
وصرخ «كريم» في جنون: لا . . لا . .

وتحرك بعنف من فراشه فسقط من فوقه سقطة مؤلمة . .
وهرع اليه «ماهر» ولكن «كريم» دفعه في عنف ، وراحت
ذراعاها تقذفان كل ما تصل اليه يداها من اشياء في هيستريا . .
قبل ان يندفع الاطباء والممرضون نحوه ليحقنوه بمادة مخدرة
ارتمى على اثرها فوق فراشه دون حراك .

* * *

الحقيقة المرة

نكس «كريم» رأسه في صمت عميق وقد ران السكون في
أركان حجراته بمنزله بعد أن غادر أبوه وأمه المكان عائدين إلى
قريتهما . . بعد أن رفض استبقاءهما معه . . وتعهده «ماهر»
برعايته ، وغمغم بعد لحظة: هل أنت واثق من أن «مراد بك»
قال لك هذه الكلمات؟

أوماً «ماهر» برأسه في ألم قائلاً: بالتأكيد ، وإن لم أفهم
وقتها معنى كلماته بأنه سيقوم بقطع رقبتك إن حاولت التدخل
في شؤونه مرة أخرى .

ارتعدت شفتا «كريم» . . وتصاعدت أنفاسه لاهثة . .
وغمغم في صوت محترق: إذن فاصطدام تلك الشاحنة بسيارتي
لم يكن مصادفة . . بل كان عملاً مدبراً من «مراد بك» . . فقد
أراد التخلص مني لأنني كشفت سره وتجارته المحرمة .

اتسعت عينا «ماهر» وتساءل في صوت لاهث:
- هل أنت واثق حقاً من أن حماك يقوم بتهريب المخدرات .
زم «كريم» شفتيه وهو يخفي عينيه بنظارة سوداء: بل ولديّ
المستندات الدالة على ذلك . . وسأقدمها لرجال الشرطة ليأخذ
هذا المجرم عقابه .

هتف «ماهر» في جزع: لا يا «كريم» . . إنك تقامر
بحياتك . . فهذا الرجل وحش ولن يتوانى عن قتلك اذا ما
حاولت الايقاع به .

وأجاب «كريم» في مرارة: لم يعد هناك ما يخيفني في هذا
العالم . . فقد تساوت لدي كل الاشياء ولم يعد هناك من
أبكي عليه ، واضاف في ألم: لقد فقدت من أحببت عندما
اردت الانتقام لنفسى انتقاماً ابله . . وصوّر لي غضبي وقتها
انني خدعت . . فقسوت على قلبي ووطأت مشاعري بقدمي
دون رحمة . . وافلتت من حياتي الفتاة الوحيدة التي احبتها
بصدق ، وبادلتنى نفس الحب الصادق .

وادار وجهه صوب «ماهر» الجالس وقد اطبق شفتيه في
صمت مؤلم . . وواصل «كريم» وعيناه المنطفئتان تحدقان في
ظلام كثيف خلف النظارة السوداء:

- أتدري يا «ماهر» . . إنني لم احزن على ما اصابني ،
و كنت اقول لنفسي خلال تلك الايام الماضية ان الله اقتصر مني
عندما شرعت في محاسبة فتاة طاهرة بريئة ووصمتها بكل
الخداع والشرور لأنها كانت تعاني من مرض لا حيلة لها
فيه . . فكنت مثل الحاكم الجبار الذي لا يرحم ولا يشفق ،
واصدرت حكماً بإعدام من احببت وبأنني استحق ما هو افضل
من فتاة عمياء . . والآن ها هو حكم الله العادل قد نفذ في
ايضاً . . فصرت ضريراً لا ابصر كذلك . . أليست تلك هي
العدالة الإلهية؟

هتف «ماهر» في ألم: كفى يا «كريم» . . كفى . . لن يزيد
الحديث في هذا الامر الا الجراح القديمة .
ارتعدت شفتا «كريم» وهمس: من قال انها جراح قديمة ،
وقد كنت اتعذب واكتوي بنارها الف مرة . . لقد تركت
محبوبتي لأنها كانت صديقة ولم تشأ مخادعتي وارتبطت بفتاة
لم تكن تريد اكثر من شاب وسيم تتباهى بمقالاته وشهرته امام
صديقاتها في النادي لتكتمل كل اساليب السعادة حولها . .
فلما رفض هذا الزوج ان يصير تابعاً لها ولأبيها بترته من حياتها
دون ان تسكب عليه دمة ندم واحدة . . وكان زواجه منها

هو الكارثة التي افقدته اغلى ما يملك . . حبيبته وعينه . . لقد
تعذبت وندمت ولكن بماذا يفيد الندم وهو لن يعيد ما ضاع مني .
وانحنى في مرارة . . وأمسك برأسه بين كفيه مواصلاً:

.. لقد حرمت من رؤية العالم الى الأبد . . من رؤية شروق
الشمس وغروبها . . من مشاهدة ازهار الربيع وهي تتفتح . .
واطفال البراءة وهم يلهون . . حرمت الى الابد من ان انظر الى
العالم والاشياء والناس . . والآن فقط ادرك كم هو قاس ذلك
الحرمان . . وكم ان هذا المحروم بحاجة الى من يخفف عنه
جراحه ويداويه . . لا من يقسو عليه ويعايره بعاهة لا ذنب له
فيها . . الآن فقط ادركت كيف قسوت على «نيفين» وحكمت
عليها بالاعدام دون ان يهتز قلبي لفرط قسوتي .

وسالت دمعتان من طرف العينين المحدثتين في الفراغ ، فقال
«ماهر» في ذهول: إنك تبكي يا «كريم» .

في صوت مختنق اجابه «كريم»: إنني ابكي لسبب وحيد . .
لأنني حرمت للأبد من رؤية الشيء الوحيد الذي تمنيت ان اراه
طوال الشهور الماضية خلال زواجي بـ «نشوى» . . «نيفين» . .
وها هو القدر قد حرمني من هذا الامل الى الابد .

ونكس بصره في مرارة وحرقة هامساً: إنني مستعد الآن
لأن ادفع عمري كله من أجل نظرة واحدة الى عينيها . .
لأراها ولو للمرة الأخيرة . . واودع الحياة بعدها . . اتمنى لو
ان الله منحني عينين تبصران لألقي عليها نظرة الوداع واتأمل
جمالها الرائق الملائكي واهمس لها ان تسامحني . . إن خطئي
وغدري بها لا سبيل الى علاج جراحه في قلبي ابداً .

قال «ماهر» في ألم: انت على حق . . لقد ظننت يوماً ما ان
السعادة في المال وانني سأكون ناجحاً وسعيداً بقدر ما يزيد ثراء
زوجتي . . فيغنييني مالها عن الشقاء ويشعرنني بالأمان . . ومن
اجل ذلك ضحيت بمن أحببت لأنها كانت فقيرة لا تملك غير
قلب نبيل يفيض عطاء وحناناً . . واتجهت بوصلتي نحو
المال . . وهأنذا الآن ادفع ثمناً غالياً من كرامتي ، مع زوجة
اشعر انني صرت تابعاً وخادماً لها لا اجرو حتى على
معارضتها . . وفي منزل احس انه ليس لي ، وانني مجرد
ضيف ، ويمكن لاصحابه ان يطردوني منه متى شاءوا . . الآن
فقط اصدق قولك بأن هناك فارقاً في ان ييني الرجل بيته بكده
وشقائه . . لا ان يحصل عليه جاهزاً بمال زوجته .

ومال على «كريم» يحتضنه وهو ينهه بالبكاء كطفل هاتفاً

في ضراعة: سامحني يا «كريم» . . فأنا السبب في كل ما حدث لك . . فقد دفعتك دفعاً لأن تترك «نيفين» وشوحتها امامك ووصمتها بالخداع . . وما اخفيته عنك هو ان «سميحة» هي التي طلبت مني ان افعل ذلك بضغط من «نشوى» ابنة خالتها . . وكنت انا مثل الدمية التي تحركانها كما تشاء ان خشية من غضب «سميحة» علي . . وهأنذا قد ادركت خطئي الفادح الآن . . بعد ان دفع كل منا ثمناً غالياً .

ظلت عينا «كريم» معلقتين بالجدار دون ان ترمشا . . كأنما فارقت الروح الجسد . . وتساءل «ماهر» في قلق: «كريم» هل تسمعني؟

تحركت شفتا «كريم» دون ان ترمش عيناه . . وظل وجهه محديقاً في الفراغ وهو يقول:

- لا تلم نفسك يا «ماهر» . . فإن احداً لم يجبرني على ان افعل ما فعلت .

وتحركت قدماه في حذر من فوق فراشه ليهبط منه ، فأسرع «ماهر» اليه يسنده هاتفاً: الى اين؟

أجابه «كريم» في اصرار: لقد احتفظت بالاوراق التي ستدين كل اولئك المهربين في حافظة خاصة في صدري قبل

الحادث . . وقد الهمني الله ان افعل ذلك لكي لا تحترق داخل
سيارتي بعد الحادث . . وقد احتفظوا لي بها في المستشفى
وتسلمتها منهم عند مغادرته واتيت بها معي الى المنزل . .
والآن اشعر ان هناك شيئاً واحداً يجب ان اقوم به ، وهو تسليم
هذه الاوراق للجريدة لينشروها على الملأ وتكون بمثابة بلاغ
عام ضد هؤلاء المجرمين .
.. ولكن . .

قاطعته «كريم» في اصرار: لن تفيد المعارضة في شيء . . ثق
من ذلك . . فسأسلم هذه الاوراق للجريدة او الشرطة ، ولو كان
ذلك آخر ما افعله في حياتي . . وقد اتصلت بنفسي بـ «مراد
بك» وانخبرته بما انوي ان افعله .
وتوقف مكانه عندما سمع صوت الخطوات القادمة تجاه باب
الحجرة . . كانت القدم نسائية يصدر حذاؤها رنيناً خاصاً فوق
الارض .

وهتف «كريم» بلا وعي وعيناه شاخصتان الى الظلام:
«نيفين»؟

ولكن ما جاوبه كان ضحكة هازئة ، ونفذ عطر ثمين الى
انفه معلناً عن صاحبه ، فغمغم «كريم» مقتطياً: «نشوى»؟

واعطاها ظهره في غضب مضيفاً: ما الذي جاء بك الى هنا؟
قالت ساخرة: أهكذا ترحب بزوجتك؟

طعنته كلمتها فقال: زوجتي . . الآن تذكرت أنني
زوجك . . ولماذا لم تتذكري ذلك في الايام الماضية ، وقد
كنت في اشد الحاجة اليك والى زوجة حقيقية تقف بجوار
زوجها وهو في محنته .

أجابته دون ان تطرف عيناها: شغلتنى عنك اشياء اخرى .
سألها في مرارة: ألهذا اتيت هنا واخذت كل ملابسك
ومجوهراتك عندما علمت انني اصبحت اعمى . . وطلبت
الطلاق .

قالت ذلك بصوت مخادع: لقد فعلت ذلك بلا وعي . .
والآن راجعت حساباتي وجئت مرة اخرى اليك .

استدار ليواجهها . . بدا كأنه يضع كل ملامحها وخلجاتها
تحت ميكروسكوب دقيق بالرغم من عينيهِ المظلمتين ، وقال: إن
هناك سبباً أتى بك الى هنا بكل تأكيد . . ما هو؟

اقتربت منه . . حدثت لحظة في نظارته السوداء ثم قالت:
لقد جئت اعرض عليك صفقة لا اظن انك سترفضها . . فإنني
مستعدة لأن ارسلك الى اي دولة في العالم بها تقدم في

جراحات العيون ، فتقوم بزراعة قرنية في عينيك لتستعيد بصرك
ولو كلفني ذلك مليون جنيه .

قال ساخرأ: لا اظن ان قلباً رحيماً قد سكن مكان قلبك
فجأة لتفعلي لي ذلك ، ولا تحاولي اقناعي بأن حبك لي قد
صحى من غفوته فجأة واقنعك بذلك . . ولا بد انك تريد
مقابلاً لهذه المنحة الكريمة . . اليس كذلك؟

ولكنها اجابته في صوت بارد: أعطني الاوراق التي في
حوزتك يا «كريم» .

استدار اليها وعلى وجهه ذهول بالغ وغمغم غير مصدق:
إذن فأنت تعرفين كل شيء عن نشاط والدك الحقيقي وتجارته
في المخدرات والا ما جئت تسعين للحصول على هذه
الاوراق .

غمغمت «نشوى» وهي تصر على اسنانها: أعطني الاوراق
والمستندات والا ندمت طوال عمرك .

استدار «كريم» ذاهلاً يواجه العدم . . وغمغم في صوت
مجنون : انني الآن لا اشك في انك ربما تكونين قد خططت
ايضاً مع ابيك لكي تتخلصا مني بتلك الحادثة . . وانا كنت
معك مثل غر ساذج لا يعرف شيئاً . فكيف عشت معك كل

هذه الشهور دون ان ادرك حقيقتك . . وانك لا تختلفين في كثير او قليل عن والدك . . ولا تقلين عنه إجراماً .

انتفضت «نشوى» في صوت يقطر كراهية وتهديداً قائلة: انا لن اسمح لك بكلمة واحدة عن ابي . . والآن هل ستعطيني هذه الاوراق ام تدفع الثمن حياتك كلها، ما دام فقدانك لعينيك لم يقنعك بما يجب ان تفعله؟

واخرجت شيئاً من جيبها صوبته نحو «ماهر» مضيفة: وهذا التافه ايضاً سيموت معك .

صاح «ماهر» في جزع: لقد اخرجت مسدساً من جيبها . اضافت «نشوى» في تهكم: وبه كاتم للصوت ايضاً . . وهكذا بطلقتين يمكن ان اتخلص منكما دون ان يكون هناك اي دليل ضدي ، واحب ان اخبر كما عن شيء وهو انني بارعة في اصابة الهدف وافضل من يطلق البندقية في النادي . . كأنني كنت استعد لهذه اللحظة . . والآن ما هو ردك ايها الصحفي الكبير؟

تقلص وجه «كريم» وقال في غضب: لن تحصلني على هذه الاوراق . . حتى لو كان الثمن حياتنا .

فأجابته في برود وعيناها تفيضان بكراهية لا حد لها:

- إذن فقد اخترت مصيرك انت وهذا التافه .

وتحرك اصبعها فوق زناد المسدس . .

فجأة دوى صوت عال محذراً يقول : مكانكم جميعاً .
لا تتحركوا .

واندفع الى داخل الحجرة عدد من رجال الشرطة
المسلحين ، انقضوا على «نشوى» واختطفوا سلاحها قبل ان
تتمكن من استعماله ، وهتف بها احدهم : انت مقبوض عليك
بتهمة الشروع في القتل .

ولم فلاش مصور صحفي ليسجل لحظة القبض على
«نشوى» . .

وتساءل «كريم» في ذهول لرجال الشرطة : من اخبركم
بالحقيقة . . وكيف اتيتم الى هنا؟

ربت احد الضباط على كتفه قائلاً : لقد كنا نراقب كل
شيء بعد ان قبضنا على السائق الذي صدم سيارتك بشاحنة
فاعترف ان «مراد بك» هو الذي حرضه على قتلك بعد ان
اكتشفت انه يعمل في تهريب المخدرات . . وقمنا بمراقبة منزلك
توقعاً لأن يحاول اغتيالك ، ولحسن الحظ فقد وصلنا في لحظة
مناسبة للقبض على ابنته لانها لم تكن فوق مستوى الشبهات .

واضاف في حزم: ونحن الآن نقوم بمهاجمة مخازن «مراد بك» والقبض عليه متلبساً بعد ان وصلت شحنة الاجهزة الكهربائية المليئة بالمخدرات اليها . . والفضل يعود اليك في كشف حقيقة هذا المجرم . . وبالطبع فإن المستندات التي تملكها والتي تدين هذا الرجل سوف يكون لها الفضل في ان يلاقي حكماً رادعاً من المحكمة هو وكل عصابته . . وابنته ايضاً.

تساءل «كريم» في صوت متوتر: هل كانت «نشوى» على علم بنشاط والدها؟

أجابه الضابط: بل كانت الوسيط ايضاً في احدى صفقاته وما اكتشفناه متأخراً هو ان اصرارها على سفر كما الى اسبانيا لقضاء شهر العسل ما كان الا لأجل الالتقاء بأطراف العصابة هناك ، ولكي تعود بحقائب محملة بالمخدرات . . وبالطبع كان من السهل مرورها من الجمارك لأن اغلب مأموري الجمارك يعرفونك من تحقيقاتك وصورتك المنشورة في الجريدة . . ولن يشكوا ابداً فيك او زوجتك ويفتشوا حقائبكما التي كنت تظنها مليئة بالهدايا والملابس لزوجتك العزيزة ، والمفترض فيها أنها محامية وتدرك القانون جيداً ، وعقوبة تهريب المخدرات . . دارت رأس «كريم» . . كانت المعلومات صدمة قاتلة له . .

اخيراً اكتشف السرفي اصرار «نشوى» على الزواج منه . . . لم يكن ذلك بسبب اعجابها به او حبها له . . . كانت تنسج شباكها مثل عنكبوت «ماهر» اوقع ذبابة في شباكها وراح يمتص دمائها على مهل . . . في تلك اللحظة تفتحت اشياء كثيرة في ذهنه وعرف لماذا كانت تختفي عن عينيه في تلك القرية السياحية ياسبانيا مدعية انها تقوم برعاية اعمال والدها . . . الآن فقط ادرك حقيقة هذه الاعمال . . . وعرف ايضاً لماذا ارادت ان يقوموا بجولة حول العالم . . . لكي تلتقي بأكبر عدد من افراد عصابة ابيها ولكي تعود بأكبر قدر من المخدرات في حقائبهما .

كان زواجها منه لتسهيل دخول المزيد من المخدرات عبر حقائبهما . . . وكانت شهرته هي الطريق الذي اتاح لها ذلك .
واخفى وجهه بين يديه . . .
فقد كانت الحقيقة مرة . . . وقد دفع لها ثمناً غالياً . . .
عينيه .

* * *

عيناك . . قدرى

أمسك «كريم» القلم وحاول الكتابة . . استعصت عليه الكلمات . . بدا كأن جبلاً يرقد فوق ذراعته ويشل تفكيره . . فبالرغم من ان محاولة الكتابة فوق سطور لا يراها كانت امراً شاقاً، الا ان الشيء الاقسى كان العشور على الافكار والكلمات الهاربة من وعيه الشارد .

فعندما زاره رئيس التحرير بالأمس قال له: كانت قصة القبض على «مراد بك» وابنته التي نشرت في الصفحة الاولى بالجريدة سبباً في نفاذها بالرغم من اننا اعدنا الطباعة خمس مرات . . ولم يعد لنا من حديث الا عنك وقصتك مع هؤلاء الاوغاد . . فما رأيك في ان تكتب قصتك مع «نشوى» ووالدها وسننشرها لك سلسلة في الجريدة؟

ومن وقتها وهو يحاول الكتابة ولكن التعابير تخونه والافكار

تهرب منه . . كأنه يتمنى لو انه حذف تلك اللحظات من ذاكرته .
لحظة رؤيته لـ «نشوى» . . ويوم زواجهما . . كان احساسه
يرفض الذكرى يجعله عاجزاً عن الكتابة . . وامتلاأت السلة بجواره
بالاوراق الممزقة لبدايات مشوهة لتلك القصة ذات الولادة
المتعسرة .

ورفع بصره الى الفراغ والظلام وغمغم لنفسه: ان البداية لا بد
ان تكون بها . . «نيفين» .

وامسك القلم في حب وود . .
وطاوعته العبارات والكلمات في يسر . . وكتب العنوان
«عيناك . . قدرى» وبدأ الكتابة . . وانطلق القلم جارياً فوق
الاوراق . .

ولم يشعر بالوقت الذي انقضى . . وافاق على صوت خطوات
تدنو قريباً منه . .

وشعر بأنفاس تكاد تمس وجهه . .
وتساءل في دهشة: «ماهر»؟
كان هو الوحيد الذي يملك مفتاحاً لشقيقته ومسموح له بدخولها
في اي وقت . . فبعد طلاقه من «سميحة» لم يعد ما يشغله عنه .
وعاد «كريم» يتساءل: من هنا؟

اقتربت منه الخطوات الخفيفة حتى توقفت على مقربة منه . .
ومد «كريم» أصابعه يتحسس وجه القادم في لهفة وتوتر . .
كان الوجه رقيقاً ناعماً . . وملامحه رقيقة دقيقة . . ودق
قلبه وهو يتحسس الأنف والفم والوجنتين والعينين . وتشبثت
أصابعه بكف القادم الرقيقة اللدنة ، كان يعرف صاحبة هذا
الكف الجميل ، وغمغم في صوت لاهث غير مصدق: «نيفين»؟
فأجابه الصوت الرقيق الملائكي: كيف حالك يا «كريم»؟
ارتعدت شفتاه . . وتقلصت أصابعه . . شعر بدوار . .
وغمغم في صوت لاهث متسارع:

- كيف دخلت الى هنا؟

أجابته في رقة: لقد أوصلني «ماهر» وهو ينتظر في حجرة
الصالة .

ران صمت عميق بعد كلماتها . . وقالت «نيفين» في صوت
يقطر حزناً ومرارة: لقد قرأت في الجريدة نبأ القبض على
«نشوى» ووالدها وحقيقة نشاطهما وعلمت بخبر أصابتك . .
قال ذاهلاً: انت قرأت الحادث في الجريدة . . ولكن . .
عيناك؟

اجابته في وداعة: انا لم افقد بصري . . والله الذي يخلق

الطير والنبات ويسر لها سبل الحياة وسط العواصف والانواء لا
يمكن ان ينسى انساناً في محنة مهما كان فقيراً .

اعترض في ذهول: ولكن . . .

أجابته في رقة دون ان يشي صوتها بأي كراهية له: ان ذلك
الطبيب العالمي الامريكي قام بزيارة لـ «مصر» لأن ابنته كانت
مريضة وفي حاجة الى طقس دافئ جاف لكي تبرا من
علتها . . . وعندما تحسنت حالة ابنته قرر الطبيب إجراء عدد من
العمليات في «مصر» على نفقته اعترافاً بالجميل . . . وبفضل
وبتوفيق من الله امكنه اصلاح عيوب عيني واعادتها كما كانت
من قبل سليمة بلا سوء . . . وهكذا تنفذ مشيئة الله ولو ادركنا
اليأس من تحقيقها .

أنحفي «كريم» وجهه يديه . . . كأنه يهرب من كابوس
سخيف . . . من ماضٍ مؤلم يطعنه بحربة من الذكريات
والندم . . . شاء الله وفعل . . . وهو قد اراد ان يتحدى القدر
فلطمه بضربة قاسية .

وقال وكل ذرة في جسده تختلج: سامحيني يا «نيفين» . . .
همست تقول في ألم: انت لا تتخيل ما اصابني بعد ان
قرأت خبر ذلك الحادث وعرفت ما جرى لك .

- لقد انتقم لك القدر .

- لا تنطق بذلك مرة اخرى . . فأنا لم اكرهك ابداً فمن يحب لا يكره .

- انا استحق ما جرى لي . . فقد عاقبني الله بنفس العقاب .

- عندما قرأت عن ذلك الحادث احسست كأنني فقدت بصري مرة اخرى وذرفت لأجلك دموعاً كثيرة .

- أنت انسانة نبيلة وانا لا استحق دموعك .

- بل انك تستحق اشياء كثيرة . . فقد كنت تعيش محنة كبيرة . . و كنت من النبل وتيقظ الضمير بحيث انك لم تقبل رشوة لإعادة عينيك .

- لقد انتهت حياتي ولم يعد يهمني الآن ما يجري لي . . إنني كالحي الميت .

- لا تقل ذلك بعد الآن . . فالحياة حلوة وهي تفتح لك ذراعيها فلا تيأس او تبئس .

- انت التي تقولين ذلك بعد كل ما فعلته بك؟

همست في يقين: لقد كنت اعرف أن ما حدث سيكون مجرد

سحابة صيف . . وانا يوماً سنعود بعضنا لبعض . . وقد عشت
على هذا الامل .

- انت؟

تساءل ذاهلاً ، وتحسس اصابعها بحثاً عن شيء خاص ،
فقال تطمئنه في رقة وحنان .

- لقد وعدتك ذات يوم ألا اكون الا لك . . وهأنذا اثبت
لك صدق وعدي .

كانت الدبلة لا تزال في اصبعها لم تخلعها ابداً .
وارتعشت اطرافه وهمس :

- ولكن . . لا . . انا لا استحقك . . لقد خنت وعدي
وختت بقسمي .

- كنت مقدرة للظروف التي دفعتك لذلك . . ولن الومك
ابداً .

- لا . . انا لا يمكن أن نرتبط ابداً . . لا يمكنني ان اسمح
لنفسي بأن اسجنك معي . . وما رفضته لنفسي لن اسمح لك
به واظلمك . . انني صرت اعمى بلا حاضر او مستقبل . .
وسأظل طوال حياتي حبيساً للجدران والظلام . . ولن اصالح
لك ابداً . . فأنت تستحقين من هو افضل مني الف مرة .

- إن العمى هو عمى البصيرة والقلب وليس عمى العيون وإظلامها .

- لا تظلمي نفسك معي لأجل وعد .

- أنا أعود اليك . . لأنه لا مكان في قلبي لأحد غيرك .

تساءل في ذهول: ووالدك؟

أجابته في تسامح وجهها يصنع هالة من الضوء حوله: أنا لا أفعل شيئاً دون مشورته . . وهو لم يحقق عليك ابداً لما فعلته .

نكس «كريم» وجهه الى الأرض وعصفت به مشاعر فؤارة . . وقال في مرارة: كيف فكرت يوماً في أن ادوس هذه المشاعر النبيلة بقدمي في قسوة وبلا رحمة . .

لماذا رأيت الظاهر فقط ولم أفطن الى الجوهر ، بالرغم من انه كانت لي عيان تبصران؟

ولكنها ربتت فوق جبهته مهونة . . كانت جبهته ملتهبة ساخنة وقطرات من العرق قد تجمعت فوقها .

ووقع بصرها على الاوراق التي كان يكتبها . . وقرأت العنوان . . وهمست تقول:

- ستكون عيناك هما ايضاً قدرتي . . حتى لو كانتا لا تبصرانني فهما أغلى عندي من العالم كله .

هتف من أعماقه مطلقاً زفرة حبيسة: آه . . كم أحبك . .
ولا أتخيل حياتي بعيداً عنك بعد هذه اللحظة .

وتحسس أصابعها في لهفة وشوق . . وقال في فرحة: أنت
لا تتصورين كيف انتهيت ان اسمع صوتك او يرنو بصري
اليك . . وتمنيت لو ان الله اعاد لي بصري لحظة واحدة اراك
فيها وأتملى من ملامحك ، حتى لو أخذ مني بقية عمري .
قالت «نيفين»: إنك ستراني وسترى العالم كله . . سيعود
الضوء الى عينيك .

أجابها في مرارة اليأس: مستحيل . . مستحيل . . فلست
املك مئات الالوف لأجل ذلك .

قالت في صوت صاف ملائكي: إن كنت لا تملك فالله
يملك هذا الكون وكل ما فيه ولن يضمن على عباده ويسر السبل
بواسطة البشر لتحقيق مشيئته . . وانا لم اشأ ان آتي اليك دون
ان احمل معي نبأ ساراً . . فبعد نشر حادثك في الجرائد
بالأمس صدرت كل الجرائد اليوم وهي تدعو لتكريمك بأي
شكل وعلاجك على نفقة الدولة . وعندما اشتريت الطبعة
المسائية الاولى لجرائد الغد قبل مجيئي اليك كدت اطيير فرحاً
عندما وقع بصري على الخبر المنشور بشأن قرار الدولة بسفرك

على نفقتها لأي دولة في العالم لعلاج عينيك وزرع قرنية
جديدة فيهما مهما كلف ذلك .

جمد « كريم » مكانه مذهولاً . . بدا كصنم لا يكاد يعي . .
كانت المفاجأة أقوى منه . . طوقته الفرحة فانتشى جسده . .
وتبللت عيناه بدموع الفرحة . . وامسك اصابع محبوبته وقبلها
بتبتل هاتفاً: آه ايتها الحبيبة . . انا لا ادري كيف اشكرك . .
فأنا الآن اشعر كأن بصري قد رد إلي . . واراك بقلبي كما
كانت عيناى تراك من قبل . . واذا قدر لي يوماً ان استعيد ما
ضاع مني فلن تغيبني عن بصري ابداً، ولو غبت عن بصري . .
ففي عينيك صار قدرى حقاً .

فهمست تقول له: لن يفرقنا شيء بعد الآن ابداً . . ولن
يأخذ انسان مكانك في قلبي . . ومنذ هذه اللحظة سأكون
عينك التي تبصر العالم كله . . فلا تشعر بغربة فيه ابداً .

واشتبكت أصابعهما في لهفة جازمة . .
وكان القلبان . . كل منهما يبصر الآخر بنور الحب . .
وبصيرته .

* * *

عيناك .. قدرتي

في لحظة خاطفة مثل اشتعال البرق في
السماء .. وقع « كريم » في هوى « نيفين » ، تلك
الفتاة الرقيقة الجميلة .. فتقدم للاقتراح بها .
ثم تكشف له المفاجأة المذهلة عندما
اعترفت له بحبوبيته بسرهما .. فكانت المفاجأة
قاسية على « كريم » .. وكان القرار هو
الانفصال ..

ولكن القلب ظل يحن ويهفو .. والعينان
تشتاقان برغم بُعد المسافات .. فكيف حدث
التحول .. وصارت عينا المحبوبة .. قدر الحبيب
السابق ؟

دار الجبيل

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان